الإسراء
مجلة إسلامية شاملة
تصدر عن دار الإفتاء الفلسطينية
سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ

هدية

الإسراء

مجلة إسلامية شاملة

تصدر مرة كل شهرين عن دار الإفتاء الفلسطينية ـ القدس

العدد 97 رجب وشعبان 1432 هـ ـ حزيران وتموز 2011م

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ

المشرف العام

الشيخ محمد أحمد حسين

رئيس التحرير

الشيخ إبراهيم خليل عوض الله

سكرتير التحرير

أ. عطا الله عبد الله فلاحين

هيئة التحرير

د. إسماعيل نواهضة

أ. د. حسن السلوادي

د. حمزة ذيب

د. سعيد القيق

د. شفيق عياش

تصميم ومونتاج : يوسف تيسير محمود

المراسلات: مجلة الإسراء ، مديرية العلاقات العامة والإعلام ، دار الإفتاء الفلسطينية

ص.ب : 20517 ـ القدس / ص.ب : 1862 رام الله ـ تلفاكس : 02 ـ 6262495 / 02 ـ 2348603

موقعنا على الإنترنت : www.darifta.org للمراسلة على البريد الإلكتروني : israa@darifta.org

ملحوظة : ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي صاحبه فحسب

فهرس العدد

افتتاحية العدد

أثر الانقسام والمصالحة على قضية القدس ومقدساتهـــــــــــا	الشيخ محمد أحمد حسين	4

كلمة العدد

مسؤولية مسلمي العالم عن حماية مسرى نبيهم صلى الله عليه وسلم	الشيخ إبراهيم خليل عوض الله	11

ملف العدد

في ذكرى معجزة الإسراء والمعراج أمل ورجاء	د. شفيق عياش	17
الإسراء والمعراج دروس وعبر	د. ياسر حماد	22
نفحات من الإسراء والمعراج	الشيخ حسن جابر	29

زاوية الفتاوى

أنت تسأل والمفتي يجيب	الشيخ محمد حسين	33

أبعاد تربوية

دراسة النظام المدرسي ومشكلاته والتـــواصـــــل الـــلاعنـــفي	أ. يوسف عدوي	39
هـــمـــوم الكِـــبَر	أ. كمال بواطنه	46

قضايا سياسية

أهداف إسرائيل عزل القدس عن ترابطها الجغـــــرافي مـــع الضـــفة الغـــربية	د. حنا عيسى	51
الاستيطان في الخطاب السياسي الإسرائيلي	أ. زكريا السرهد	54
عبرة كبيرة لشعوب العرب وقادتها	أ. عودة عريقات	71
الوسطية وأخواتها محاولة للتدبر والنهوض	الشيخ حسين محمد عمر	76

شعر هادف

القدس والأقصى المبارك والصخرة المشرفة في شعر الرحالة الصوفي مصطفى البكري	الشيخ عمار بدوي	86
صخرة المعراج	الشاعر عبد الله فنون	99

نشاطات ...

مكتب المفتي العام ومراكز دار الإفتاء	الأستاذ مصطفى أعرج	101
مسابقة العدد 97	أسرة التحرير	110
إجابة مسابقة العدد 95	أسرة التحرير	111

افتتاحية العدد

أثر الانقسام والمصالحة على قضية القدس ومقدساتها

الشيخ / محمد أحمد حسين ـ المشرف العام

ابتهج شعبنا الفلسطيني؛ ومعه كل الحريصين على مصلحة القضية الفلسطينية، والغيورين على القدس ومقدساتها، بالتوقيع على المصالحة، التي أعلن عنها من قبل الفصائل الفلسطينية في القاهرة مؤخراً، استجابة لحراك الشارع الفلسطيني الذي صَدَحَ قائلاً: الشعب يريد إنهاء الانقسام، فكان، والحمد لله، التوجه إلى المصالحة، التي يؤمل لها أن تنهي حالة صعبة، وتطوي صفحة سوداء، عانى من ويلاتها الشعب وقضيته وأرضه ومقدساته وأسراه، وكان يقطف ثمارها أعداؤه والمتربصون بوجوده.

وإذا ما حاول المرء أن يستعرض الآثار الإيجابية للمصالحة على قضية القدس ومقدساتها، والآثار السلبية للانقسام على هذه القضية المقدسة، فسيجد زخماً هائلاً من تلك الآثار، مما يقتضي إجمالها على نحو معين، ولتبيان بعض تلك الآثار، اخترنا عرض مجال إيجابيات المصالحة والوفاق، وسلبيات النزاع والشقاق، على الأمة وقضاياها ومكوناتها وأفرادها وجماعتها، في ضوء ما دلت عليه بعض الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، وذلك وفق الآتي:

فالقدس ومقدساتها من أبرز القضايا الفلسطينية، كيف لا؟ وهي تحتضن مسرى

الرسول، صلى الله عليه وسلم، الذي تشد إليه الرحال، وبارك الله ما حوله، فقال تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}.(1)

وهذه القضية تستدعي بذل الجهود والطاقات والموارد من أجل نصرتها، والتغلب على صعابها، ويُطلب هذا من أطياف الأمة وجماعاتها، وأفرادها، حسب قدراتهم وإمكاناتهم، دون أن يعذر مقصر عن أداء الواجب، ومن مستلزمات نصرة هذه القضية، والنجاح في الدفاع عن حياضها، أن تكون هناك جهود جماعية مشتركة، تتضافر في حمل المسؤولية المطلوبة لها، والتضافر يتطلب الالتقاء على الهدف والمبادئ، حتى تتوحد القواسم والمنطلقات، ومن الطبيعي أن تظهر خلافات في الآراء بين العاملين في ميادين الاجتهاد، وبخاصة حين يكون الاجتهاد تحت وطأة الضغوط، ومظلة الصعاب والشدائد والمحن، غير أن الاختلاف يجب أن لا يفسد للود قضية، وإن حصل أن أفسد؛ فلا بد من المسارعة إلى درب المصالحة بين أطراف العمل الجاد، على ساحة نصرة القضية ومواجهة صعابها، وتحتاج المصالحة أحياناً إلى أصحاب المساعي الحميدة المخلصة، حتى تنجح، وتطوى بها صفحات الانقسام والفرقة المظلمة، وفي الصلح والمصالحة وآثارهما، يقول تعالى: {...وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً}.(2)

فخير الصلح عام، يشمل جوانب كثيرة، ومجالات عديدة، والنزاع شر، وسلبياته مدمرة، فهو يُذهب القوة، ويُوهن البنيان، والله تعالى يقول: {وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}.(3)

وقد أمر الله المؤمنين بإصلاح ذات البين في أكثر من آية قرآنية، فقال تعالى: {وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}. (4)

وفي سبب نزول هذه الآية الكريمة، ورد في صحاح السنة النبوية، عن أنس، رضي الله عنه، قال: قِيلَ لِلنَّبِيِّ، صلى الله عليه وسلم: (لو أَتَيْتَ عَبْدَ اللَّهِ بن أُبَيٍّ، فَانْطَلَقَ إليه النبي، صلى الله عليه وسلم، وَرَكِبَ حِمَاراً، فَانْطَلَقَ الْمُسْلِمُونَ يَمْشُونَ معه، وَهِيَ أَرْضٌ سَبِخَةٌ، فلما أَتَاهُ النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: إلَيْكَ عَنِّي، والله لقد آذَانِي نَتْنُ حِمَارِكَ، فقال رَجُلٌ من الأَنْصَارِ منهم: والله لَحِمَارُ رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، أَطْيَبُ رِيحاً مِنْكَ، فَغَضِبَ لِعَبْدِ اللَّهِ رَجُلٌ من قَوْمِهِ، فَشَتَمَهُ، فَغَضِبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَصْحَابُهُ، فَكَانَ بَيْنَهُمَا ضَرْبٌ بِالْجَرِيدِ وَالأَيْدِي وَالنِّعَالِ، فَبَلَغَنَا أنها أُنْزِلَتْ {وَإِنْ طَائِفَتَانِ من الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا}).(5)

ففي هذه الآية الكريمة وسبب نزولها ما يوجه المسلمين، إلى كيفية معالجة شرارة الفراق والنزاع والشقاق، التي قد تبدو تافهة بسيطة في أولها، لكنها قد تتفاقم لتحرق الأخضر واليابس، إن لم تجد من يحسن التصرف حيالها، فيئدها في مهدها، ويطفئ شرارة اشتعالها. وأكد الله تعالى الأمر بالإصلاح بين المؤمنين، في الآية التالية لهذه الآية الكريمة من سورة الحجرات، فقال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}. (6)

فالمؤمنون إخوة، ينبغي أن لا يكون بينهم شقاق ولا نزاع، وإن وقع بينهم خلاف، فعلى

المؤمنين الآخرين أن يبذلوا سعيهم الحميد في سبيل رفع هذا الخلاف، قبل أن يستفحل، وهذه الآية الكريمة جمعت أربع قضايا ذات صلة بالموضوع، وببعضها بعضاً، فبينت أولاً أن المؤمنين إخوة، مما يعني أن تُبنى العلاقات بينهم على أساس هذا المبدأ، فالأصل بالإخوة أن يكونوا متحابين، ويزدادوا محبة لبعضهم بعضاً إذا جمعهم الإيمان، وبينت الآية ثانياً لزوم القيام بواجب الإصلاح بين الإخوة المتخاصمين، مما يعني رفض الاكتفاء بدور المتفرج على مشاهد النزاع والخلاف بين الإخوة، فالمختلفون إخوة، والمصلحون إخوتهم، ومن واجب الأخ أن يبعد الشر عن أخيه، ويسعى لجلب الخير له، وقد عني الرسول، صلى الله عليه وسلم، أيما عناية بالإصلاح بين المتخاصمين، فعَنْ سَهْلِ ابْنِ سَعْدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ أَهْلَ قُبَاءٍ اقْتَتَلُوا، حَتَّى تَرَامَوْا بِالْحِجَارَةِ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِذَلِكَ، فَقَالَ: (اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحُ بَيْنَهُمْ)(7)، وقام بشخصه بدور المصلح بين المتنازعين، ثم أمرت الآية الكريمة بتقوى الله، ومن مقتضيات التقوى أن يحب الأخ لأخيه ما يحب لنفسه، وأن يؤثره على نفسه، حتى يبلغ درجة من أثنى الله عليهم بقوله تعالى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}(8)، ومن يؤثر أخاه على نفسه، لا يقع في فخ حسده، ومنافسته على أمور الدنيا التي تجلب النزاع والشقاق والخلاف، حين ينطلق الإخوة في طلبها من معين الأنانية، وإيثار الذات، والانتصار للأنفس والأهواء.

أما القضية الرابعة التي تضمنتها الآية الكريمة، فهي ذات صلة بما ورد في ذيلها، والتعقيب عليها، {...لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}، وكأنها تلفت انتباه من يتلقى هذه الأوامر لضرورة

القيام بتنفيذها، حتى يستجلب الرحمة الربانية، التي بدونها لن تدخل نفس الجنة، كما ورد في الحديث الصحيح عن أبي هُرَيْرَةَ، قال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، يقول: (لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، قالوا: ولا أنت يا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: لا؛ ولا أنا، إلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي الله بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ، فَسَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، ولا يَتَمَنَّيَنَّ أحدكم الْمَوْتَ، إِمَّا مُحْسِناً، فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْراً، وأما مُسِيئاً، فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ). (9)

وفي رواية أخرى صحيحة، عن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال رسول اللَّهِ؛ صلى الله عليه وسلم: (ليس أَحَدٌ يُنْجِيهِ عَمَلُهُ، قالوا: ولا أنت يا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: ولا أنا، إلا أَنْ يَتَدَارَكَنِيَ الله منه بِرَحْمَةٍ). (10)

والله تعالى يأمر بوحدة الصف، وينهى عن الفرقة، ممتناً على المؤمنين أن ألف بين قلوبهم، فأصبحوا بنعمته وفضله إخواناً، فأنقذهم بهذه النعمة والاهتداء إليها من شر النار ومصيرها، فقال تعالى: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}.(11)

ويصرح الله سبحانه بحبه للمجتمعين صفاً واحداً من أجله وفي سبيله، فيقول تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ}.(12)

فهذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، تبين فضل الصلح، ومساوئ الشرذمة والانقسام، فالصلح خير، تتوحد به الجهود نحو حماية الحمى، وعلى رأسها القدس والمقدسات، وبه يعود مكر الأعداء إلى نحورهم، فتفوت عليهم فرص التربص بالأرض والإنسان والمقدسات، تحت مظلة اليقظة والحذر، وتوحيد الطاقات والجهود، نحو الوجهة الصحيحة، والأهداف العليا.

ومما يُلفت الأنظار، ويستدعي التدبر، ما تضمنته فاتحة سورة الأنفال، حيث أمرت بإصلاح ذات البين، فيقول تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}.(13)

أما حين يسود الانقسام، فتتبعثر الجهود، وتنحرف البوصلة، فتذهب الريح، ويكون الفشل، في حماية الأرض والإنسان والمقدسات، وتفتح الساحات مشرعة لمخترقيها من الأعداء، الذين يتربصون الدوائر بوجود هذا الشعب ومقدساته وأرضه وحجره وشجره وبشره، ويصدق في مثل هذا الحال ما ورد في حديث ثَوْبَان، قال: قال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: (يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كما تَدَاعَى الأَكَلَةُ إلى قَصْعَتِهَا، فقال قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قال: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ الله من صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ الله في قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ، فقال قَائِلٌ: يا رَسُولَ اللَّهِ؛ وما الْوَهْنُ؟ قال: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ). (14)

ويحسن في هذا المقام ترداد الحكمة التي جمعها الشاعر بقوله:

كونوا جميعاً يا بَنِـــيَّ إذا اعترى .... خــطبٌ ولا تتفرقوا آحاداً

تأبى الرماحُ إذا اجتمعن تكسراً .... وإذا افترقن تكسَّرت آحاداً

فمن أكبر المصاعب التي تلحق أفدح الأضرار بقضية القدس واستحقاقاتها، تنازع أهلها فيما بينهم، وانقسامهم شيعاً شتى، والله يرشد المسلمين إلى أنهم جسمٌ واحدٌ، كونهم أمة الإسلام التي قال الله تعالى فيها: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}(15)، وفي آية أخرى، يقول تعالى: {وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ}.(16) فقد جاء أمر الله للمسلمين بالعبادة والتقوى، مقترناً ببيان أن أمة

الإسلامية واحدة.

فالانقسام يخالف الشرع، ويغضب الرب سبحانه، ويقضي على إنجازات الذين ضحوا بدمائهم وحرياتهم من الشهداء والأسرى في سبيلها، وعلى العكس تماماً؛ فإن المصالحة تأتي بالقوة، والخير الذي تعم منافعه الأرض والمقدسات، ويتنفس من عليل هوائه الشعب الرازح تحت نير الاحتلال الظالم.

الهوامش

1. الإسراء: 1.
2. النساء: 128.
3. الأنفال: 46.
4. الحجرات: 9.
5. صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب ما جاء في الإصلاح بين الناس إذا تفاسدوا...
6. الحجرات: 10.
7. صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب قول الإمام لأصحابه اذهبوا بنا نصلح.
8. الحشر: 9.
9. صحيح البخاري، كتاب المرض، باب تمني المريض الموت.
10. صحيح مسلم، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، باب ليس أحد منكم ينجيه عمله.
11. آل عمران: 103.
12. الصف: 4.
13. الأنفال: 1.
14. سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام.
15. الأنبياء: 92.
16. المؤمنون: 52.

مسؤولية مسلمي العالم عن حماية مسرى نبيهم ﷺ

الشيخ / إبراهيم خليل عوض الله - رئيس التحرير

ضمن واجب الأمة نحو وجودها، ومسؤوليتها عن قضاياها المصيرية، تأتي مسؤوليتها عن حماية ثالث المساجد التي لا تشد الرحال إلا إليها، وهو قبلة المسلمين الأولى، ونهاية رحلة إسراء رسولهم، صلى الله عليه وسلم، من مكة، ومحطة انطلاق معراجه إلى السماء، وقد نزل فيه قرآن يتعبد المسلم بتلاوته في صلاته وخارجها، مما يجعله في صلب منظومة اهتمام المسلمين أينما وجدوا، وكيفما تحدثوا، وبغض النظر عن لون بشرتهم، ومكان إقامتهم، فهو من مكونات عقيدتهم، ومن متعلقات تاريخهم وتراثهم، من هنا يكون الدفاع عنه واجباً على كل مسلم ومسلمة، وبالإضافة إلى هذه المسوغات لوجوب أداء مقتضيات المسؤولية الملقاة على عواتق المسلمين نحو مسجدهم الأقصى، فإن مبادئ الإسلام وأحكام شريعته، ومضامين قيمه وسننه، تقتضي من المسلم القيام بمتطلبات حماية هذا المسجد المبارك والمرابطين في أكنافه، من منطلق الواجب العام الذي يلزم المسلمين أفراداً وجماعات على الاهتمام بأمر المسلمين، وقضايا الإسلام، وتستنبط مؤيدات هذا الاقتضاء، ودلائل هذا الواجب، من النصوص الشرعية ذات الصلة، التي يمكن الوقوف عند بعضها، ضمن العرض الآتي:

ففي الآيات التي تناولت ذكر رد بني إسرائيل على موسى، عليه السلام، المتضمن

تقاعسهم عن معاضدته ونصرته، في قوله تعالى: {قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ * قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ}.(1)

فقد جاء تعقيب الله على ردهم المتضمن في قولهم: {فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} بأن وصفهم بالفاسقين، مؤكداً ما ورد على لسان موسى، عليه السلام، مما يشير إلى ذم من يتخلى عن تلبية نداء الواجب وتقريعه، ولا ينحصر هذا الذم بمن تقاعسوا عن نصرة موسى، عليه السلام، بل يشمل أشباههم في كل زمان ومكان، ممن يختارون سلوك درب التخاذل عن نصرة الحق، ومعاضدة أهله.

وذكر الله أيضاً موقف الملأ من بني إسرائيل، بعد أن لبى طلبهم بأن بعث فيهم طالوت ملكاً، لكنهم تولوا عن نصرته إلا قليلاً منهم، فقال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ}(2)، حيث تخلفوا عن نصرته، وتولوا عنه، إلا قليلاً منهم، فكانوا بذلك ظالمين؛ لخروجهم عن درب الحق والموقف المنصف.

وذكر الله تعذرهم بقلة حيلتهم، وضعف قوتهم عن مواجهة جالوت، فقال تعالى: {فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ}.(3)

فالتخاذل عن نصرة الحق سبيل الفاسقين والظالمين والمنافقين، والله يؤنب المتخاذلين عن أداء واجبهم نحو قضاياهم المصيرية، ففي شأن المنافقين يقول تعالى: {فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللّهِ وَكَرِهُواْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ}(4)، ومثلهم الذين تعذروا عن المشاركة في أداء واجب حماية الحمى المقدسة، بحجة أن بيوتهم عورة، فقال الله تعالى فيهم: {وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلا فِرَاراً}.(5)

فالذين يختلقون الأعذار لأخذ الرخص عن أداء الواجب، هم المنافقون والفاسقون والظالمون، الذين يتوعدهم الله بعذاب بئيس يوم القيامة، إضافة إلى فضح نفاقهم، وذم سوء سلوكهم واختيارهم.

وأنكر الله على القادرين خذلهم المستضعفين، بجعلهم يواجهون حالة الاستضعاف بمفردهم، فقال تعالى: {وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً}.(6)

وإذا ما نُظر إلى مسرى الرسول، صلى الله عليه وسلم، وهو يئن من ويلات الأسر، وظلم من يستبيحون حرمته، ويبطشون برواده وأهله، فإن حالة الاستضعاف التي يعاني منها تحدث عن نفسها، مستصرخة رموز الأمة وقادتها وشعوبها وأصحاب النفوذ فيها، مستغيثاً، طالباً استحقاقات الواجب الذي تمليه مبادئ الدين وقيمه عليهم نحوه، ومما ورد بهذا الصدد أنه جاء في صحيح البخاري، بَاب يَمِينِ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ إنه أَخُوهُ إذا خَافَ عليه الْقَتْلَ أو نَحْوَهُ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مُكْرَهٍ يَخَافُ فإنه يَذُبُّ عنه الظالم، وَيُقَاتِلُ دُونَهُ، ولا يَخْذُلُهُ، فَإِنْ قَاتَلَ دُونَ الْمَظْلُومِ فلا قَوَدَ عليه، ولا قِصَاصَ،...وفيه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صلى

الله عليه وسلم، قال: (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمَ، لا يَظْلِمُهُ، ولا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كان في حَاجَةِ أَخِيهِ كان الله في حَاجَتِهِ).(7)

وفي صحيح مسلم، عن أبي هُرَيْرَةَ، قال: قال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: (لا تَحَاسَدُوا، ولا تَنَاجَشُوا، ولا تَبَاغَضُوا، ولا تَدَابَرُوا، ولا يَبِعْ بَعْضُكُمْ على بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمَ، لا يَظْلِمُهُ، ولا يَخْذُلُهُ، ولا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هاهنا، وَيُشِيرُ إلى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسْبِ امْرِئٍ من الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمَ على الْمُسْلِمَ حَرَامٌ؛ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ). (8)

فخذل المسلم للمسلم، وتسليمه ليلاقي مصيره المؤلم، وحتفه الصعب، من المنكرات التي يشجبها الإسلام، ويرفضها الله ورسوله، صلى الله عليه وسلم، وعلى العكس من ذلك تماماً، فإن الرسول، صلى الله عليه وسلم، يصور حال العلاقة بين المؤمنين بحال أعضاء الجسد الواحد التي يؤرقها الألم الذي ينتج عن إصابة عضو منها، فيصبح الجسد بكليته يعاني السهر والحمى، فيقول صلوات الله وسلامه عليه: (تَرَى الْمُؤْمِنِينَ في تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ؛ كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إذا اشْتَكَى عُضْواً، تَدَاعَى له سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)(9). وتعبر مواقف المسلمين الذين تربوا في مدرسة النبوة عن امتثال هذه المعاني، والتحلي بهذه القيم، فيروى أن القائد الفذ صلاح الدين الأيوبي لم يُر ضاحكاً حين كانت القدس ومسجدها الأقصى في أسر الصليبيين، فلمّا قيل له في ذلك، قال: كيف يحلو لي الضحك والقدس في أيدي الصليبيين، وقد أدرك الصحابة واجبهم بهذا الصدد منذ العهد الأول للإسلام، ومن النماذج التي تستحق التدبر ما جاء في ردود الأنصار، حين طرح الرسول، صلى الله عليه وسلم، الاستشارة بأمر مواجهة العدو في أولى غزوات المسلمين الكبرى، فوقف المقداد بن الأسود، رضي الله عنه، فقال: يا رسول الله! امض بنا لأمر الله، فنحن معك، والله لا نقول لك مثل ما قالت بنو إسرائيل لموسى:

{...فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ}(10)، ولكن اذهب أنت وربّك فقاتلا، إنا معكما مقاتلون، والذي بعثك بالحق! لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تنتهي إليه(11).

ولم تقتصر المواقف النبيلة والشجاعة التي جاءت في سياق القيام بواجب حماية حمى الإسلام والمسلمين على الرجال دون النساء، بل عبرت المرأة المسلمة، والفتى المسلم عن التحلي بهذه القيم، في أكثر من مناسبة وحدث، فيروى أن إحدى نساء المسلمين لم تجد ما تقدمه للقائد المسلم للمشاركة في صدّ عدوان أعداء الأمة إلا ضفائر شعرها؛ لجعلها لجاماً لحصان منطلق في سبيل الله، فقدّمت ما تستطيع، ولم تبق في وضع المتفرّج العاجز اليائس.

فالفرد المسلم ذكراً كان أم أنثى، بغض النظر عن موقعه، مسؤول ومطالب بأن يتفاعل تفاعلاً إيجابياً مع قضايا أمته، فيبذل وسعه وطاقته دون تلكؤ أو تثاقل في سبيل رفع الضيم عنها، ولا يرتاح له بال، ولا يهنأ بعيش، وجزء من أرض المسلمين مستباحة، وبعض المسلمين في أسر، فكيف إذا كان الأسير هو أولى القبلتين، ومسرى الحبيب محمد، صلى الله عليه وسلم، وما حوله من الأرض التي باركها الله، والعباد المؤمنين القاطنين فيها، المرابطين على ثغورها؟ فهل يعذر مسلم في أنحاء المعمورة أن يقف متخاذلاً عن نصرتهم وقدسهم ومسجدهم الأقصى؟! وكيف ينام المسلمون في أنحاء الدنيا ويقومون، ويسمرون، ويأكلون، ويبتهجون، ويحتفلون، ويتلذذون بما لذّ وطاب من متع الطعام والشراب وطيبات الحياة، وهم يعلمون بحال إخوانهم في فلسطين، ويشاهدون عبر المرئيات يومياً بالبث الحي والمباشر انتهاك حرمات المقدسات، واستباحة دماء إخوانهم وانتهاك حرماتهم، وتشديد الخناق عليهم، فهل يقبل منهم عذر للخذلان، والتغاضي عن نصرة إخوانهم ومقدساتهم؟!

ومثلما سألهم الله منكراً خذل المستضعفين، فإنه سألهم منكراً كذلك ترك الإنفاق عليهم، وعلى قضاياهم المصيرية، فقال تعالى: {وَمَا لَكُمْ أَلا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}.(12)

فهل يستفيق الغارقون في سُبات عميقٍ من المسلمين، ويخلعون ثياب الخذلان عن مواقفهم، ويرتدون ثوب الستر الذي أوجب الله ورسوله، صلى الله عليه وسلم، عليهم أن يكتسوا به، ليظهروا على الوجه الذي يرضي الله، أعزة متفانين في سبيل قضاياهم، مؤازرين مساندين للمستضعفين منهم، نسأل الله أن يوفقهم لذلك، وأن يحق الحق على أيديهم، مثلما كان من الرسول، صلى الله عليه وسلم، وصحابته البررة، الذين عادوا إلى مكة بالحق، ومن أجل الحق، واستحقاقاته، مرددين: {وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً}.(13)

الهوامش

1. المائدة: 24 – 26.
2. البقرة: 246.
3. البقرة: 249.
4. التوبة: 81.
5. الأحزاب: 13.
6. النساء: 75.
7. صحيح البخاري، كتاب الإكراه، باب يَمِينِ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ إنه أَخُوهُ إذا خَافَ عليه الْقَتْلَ أو نَحْوَهُ ...
8. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ...
9. صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم.
10. المائدة: 24.
11. السيرة النبوية، ابن هشام، 3/ 162.
12. الحديد: 10.
13. الإسراء: 81.

في ذكرى معجزة الإسراء والمعراج
أمل ورجاء

الدكتور شفيق عياش / جامعة القدس

قال تعالى في محكم كتابه العزيز: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}(1)، ففي هذه الآية الكريمة يخبر الله سبحانه وتعالى عن مكرمة خالدة، أكرم الله سبحانه بها رسوله محمداً الكريم، صلى الله عليه وسلم، ولم يكرم أحداً قبله مثلها.

وهذه المكرمة الخالدة التي تشير إليها الآية الكريمة، هي معجزة الإسراء والمعراج، ففي ليلة السابع والعشرين من شهر رجب من كل عام، يجتمع المسلمون في شتى بقاع الأرض في بيوت الله سبحانه، يتلون أخبار هذه الحادثة المعجزة، ويتأملون ما فيها من دروس وعبر وعظات؛ علها تقودهم إلى محاربة الشر والفساد بجميع أنواعه.

فعلينا، نحن معشر المسلمين، معرفة ما ارتبط بهذه المعجزة من أحداث، وقعت في تاريخنا القديم، حيث كان العرب عند مبعث رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، منقطعين عن العالم الخارجي، بعيدين عن المشاركة في تاريخه، مشتتين داخل جزيرتهم، منشغلين في الحروب الطاحنة فيما بينهم، والألوهية عندهم كانت تتجسد في أصنام

من صنع أيديهم، إليها يتجهون بالعبادة والدعاء، وعندها ينتهي الأمل والرجاء، وظل الأمر على هذه الحال حتى جهر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بدعوته، وأخذ يدعو قومه في مكة المكرمة إلى الإسلام، ويتحمل في سبيل دعوته أشد صنوف العذاب، وتموت زوجه خديجة، ويموت عمه أبو طالب، وكان كل منهما سنداً له وعضداً ضد طغيان قريش، ويترك الرسول، صلى الله عليه وسلم، مكة إلى الطائف، ولكنه يرجع منها كئيباً حزيناً، فقد أعرض أهلها عن دعوته، وتهجم عليه السفهاء من أهلها، ووسط الهموم والأحزان يتجه الرسول، صلى الله عليه وسلم، إلى العلي القدير؛ ليستمد منه العون والأمل والرجاء، ويسأله الثبات والقوة، فيقول: (اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَأَنْتَ رَبِّي، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي؟ إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي، أَوْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي، إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلا أُبَالِي، غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، أَنْ يَحِلَّ عَلَيَّ غَضَبُكَ، أَوْ أَنْ يَنْزِلَ بِي سَخَطُكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِكَ).(2)

فكان هذا التكريم الرباني لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، تسريةً له، وإشعاراً من ربه سبحانه أنه لم يتخل عنه، ولم يتركه ضحية للتآمر، وعنت السفهاء، بل عنايته سبحانه تصاحبه، وهو ناصره، ورافع ذكره، ومظهر دينه، مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى: {وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى * وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى* وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى}.(3) وقوله سبحانه: {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ* فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً}(4).

وتلك سنة الله في عباده المؤمنين؛ يتولاهم برعايته، وينصرهم النصر المبين، مهما ادلهمت الخطوب، وقست الظروف، وتكتل الأعداء، يقول سبحانه وتعالى: {إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ}(5)، وما كانت معجزة الإسراء من المسجد الحرام بمكة المكرمة إلى المسجد الأقصى المبارك في القدس، إلا توطئة وتمهيداً لرحلة عظيمة، وعروج إلى حيث القرب والشهود.

لقد شاهد الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، من مشاهد الإعجاز ما نقله إلى الناس، فأخبرهم بمسراه ومعراجه، وما شاهده في رحلته، وهذه مكرمة تدعو للاعتبار، وتأخذ بقلوب الناس إلى التدبر والحذر، وعدم الوقوع في المفاسد والأوحال.

لقد رفع الله سبحانه قدر نبيه، صلى الله عليه وسلم، فجمع الأنبياء من حوله واصطفوا في الصلاة والدعاء خلفه، فعن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: لقد رَأَيْتُنِي في الْحِجْرِ، وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عن مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي عن أَشْيَاءَ من بَيْتِ الْمَقْدِسِ، لم أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً ما كُرِبْتُ مثله قَطُّ، قال: فَرَفَعَهُ الله لي، أَنْظُرُ إليه، ما يَسْأَلُونِي عن شَيْءٍ، إلا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ، وقد رَأَيْتُنِي في جَمَاعَةٍ من الْأَنْبِيَاءِ، فإذا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي، فإذا رَجُلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ كَأَنَّهُ من رِجَالِ شَنُوءَةَ، وإذا عِيسَى بن مَرْيَمَ، عليه السَّلَام، قَائِمٌ يُصَلِّي أَقْرَبُ الناس بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بن مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، وإذا إِبْرَاهِيمُ، عليه السَّلَام، قَائِمٌ يُصَلِّي أَشْبَهُ الناس بِهِ صَاحِبُكُمْ يَعْنِي نَفْسَهُ، فَحَانَتْ الصَّلَاةُ، فَأَمَمْتُهُمْ، فلما فَرَغْتُ من الصَّلَاةِ، قال قَائِلٌ: يا محمد، هذا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ، فَسَلِّمْ عليه، فَالْتَفَتُّ إليه، فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ. (6)

حقا؛ لقد كانت رحلة الإسراء والمعراج منهاجاً للحياة، ووسيلة لتخطي العقبات والمصاعب، ولقد كان هذا الحدث من أكبر المعجزات التي ثبّت بها نبيه، والمؤمنين حتى

ازدادوا إيماناً مع إيمانهم، ورجاءً مع رجائهم، فما وهنوا لما أصابهم من أذى، وما استكانوا لما وقع عليهم من غبن وحيف.

ولجميع ما سلف ذكره، فإن الأمور التي ظهرت في رحلتي الإسراء والمعراج، يجب أن نتذكرها دائماً، ونذكر بها المؤمنين؛ لأن فيها تكريماً لرسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، ورفعة لشريعتنا الإسلامية الغراء، حيث يقول سبحانه في هذا الشأن: {وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ}. (7)

فحظوة الرحلتين امتنان على الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، لم ينلها، ولم يحظ بها غيره من الأنبياء، عليهم السلام.

إن بيت المقدس من يوم إسراء الرسول، عليه الصلاة والسلام، إليه، أصبح خاصاً بالمسلمين بصفة شرعية، ومن يوم فتح المسلمين له، ودخول الخليفة الراشد عمر ابن الخطاب، رضي الله عنه، القدس بنفسه سنة 15 هجرية وفق 636م، أصبح عملياً خاصاً بهم دون غيرهم، وظل المسلمون في رحابه حراساً له، وسدنة لأعتابه، يعمرونه بالصلاة ليل نهار، وترتفع فيه نداءات المؤذن في وقت كل صلاة، وإن من الفقهاء والعلماء والأدباء من أفاض الله عليهم فيه علوماً نافعة في الدنيا والآخرة.

ولتلكم الاعتبارات؛ فإن ذكرى الإسراء -من يوم اغتصاب بيت المقدس ظلماً وعدواناً- تثير كل عام في نفوس المسلمين المخلصين في مشارق الأرض ومغاربها، على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وألوانهم، أكبر حافز إزاء المسجد الأقصى المبارك، لإنقاذه من الطغاة الغاصبين، فحري بالمسلمين جميعاً أن يرتفعوا فوق خلافاتهم، وأن يأخذوا من هذه الذكرى العبر والعظات؛ فيكونوا سنداً للوحدة المأمولة، وعضداً للقوة المرجوة،

وأن يقفوا صفاً واحداً أمام الأخطار المحدقة بهم من كل جانب، فلا ييأسوا من روح الله، بل نثق في وعد الله سبحانه وتعالى الذي لا يتخلف، فإن مع العسر يسراً، إن مع العسر يسراً، ولن يغلب عسر يسرين.

فالقدس والمسجد الأقصى أمانة في أعناقنا، وفي سويداء قلوبنا وضمائرنا، ولن نتخلى عنهما أبداً، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، يقول الحق سبحانه: {وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}(8)، ويقول أيضاً: {وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ}.(9)

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الهوامش

1. الاسراء: 1 .
2. زَادُ الْمَعَادِ فِي هَدْيِ خَيْرِ الْعِبَادِ، فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْجِهَادِ وَالْمَغَازِي وَالسَّرَايَا وَالْبُعُوثِ، موت أبي طالب وموت خديجة، ص 28.
3. الضحى: 1 – 5.
4. الشرح: 4 – 6.
5. غافر: 51.
6. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بينما أنا نائم رأيتني أطوف بالكعبة.
7. إبراهيم: 5.
8. الحج: 40.
9. الروم: 47.

ملف العدد

الإسراء والمعراج
دروس وعبر

الشيخ الدكتور ياسر حماد / مدير دائرة البحوث
دار الإفتاء الفلسطينية

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على سيد الخلق والمرسلين محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على نهجه بإحسان إلى يوم الدين، وبعد؛

فتطل في هذه الأيام، ذكرى عزيزة على كل مسلم، وعلينا نحن أبناء فلسطين بشكل خاص، ألا وهي ذكرى الإسراء والمعراج؛ ذلك أن هذه الحادثة قد ربطت بين مكة وبيت المقدس ربطاً أبدياً إلى يوم الدين.

لقد أفرد الله سبحانه لهذه الحادثة اسم سورة عظيمة من سور كتابه الكريم، افتتحها بقوله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}(1)، وقد اختلف العلماء الأجلاء في موعد هذه الحادثة على أقوال متعددة، والذي عليه أئمة النقل، أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة وقبل الهجرة.

واختلفوا كذلك هل كان الإسراء ببدنه عليه السلام وروحه؟ أم بروحه فقط؟ والذي عليه جمهور العلماء، أنه كان بالروح والجسد، ولم يكن مناماً؛ إذ لو كان بالروح فحسب لما أنكرته قريش وأكبرته.

لقد كانت حادثة الإسراء والمعراج تسرية للرسول ﷺ بعدما لاقى من الأذى هو

والصحابة، رضوان الله عليهم، ما لاقوه، فالنبي ﷺ عرض نفسه على الطائف، بعدما وقفت قريش موقفها منه، وقاموا بإغراء سفهائهم وصبيانهم به، فأخذوا يرجمونه ﷺ بالحجارة، فأدموا قدميه، وسالت الدماء من جسده الطاهر، ودعا بدعوته المشهورة: (اللهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وهَوَانِي عَلى النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وأَنْتَ رَبِّي، إِلى مَن تَكِلُنِي؟ إِلَى بَعِيدٍ يُتَجَهَّمُنِي، أو إِلى عَدُوَ مَلَّكْتَه أَمْرِي، وإِن لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلاَ أُبَالِي، ولكِن عَافِيَتَكَ هي أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الذِي أَشْرَقَتْ بِه الظُلُمَاتُ، وصَلُحَ عَلَيهِ أَمْرُ الدُّنْيَا والآخِرَةِ من أَنْ تُنْزِلَ بي غَضَبَكَ، أو تُحِلَّ عَلَيَّ سَخَطَكَ، لَكَ العُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، لاَ حَوْلَ ولاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِكَ) (2).

ولقد جاءه جبريل، عليه السلام، فيما رواه الشيخان عن عائشة، رضي الله عنها، أنه عرض عليه أن يطبق عليهم الأخشبين، جبلان في مكة، فقال قولته: (بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا) (3).

إن التوجه إلى الله بالدعاء من أجلّ مظاهر العبودية، وهي إليه من أعظم القربات، لقد كانت حادثة الإسراء والمعراج بعد أن فقد النبي ﷺ سنده وعونه الداخلي، المتمثل في زوجه خديجة، رضي الله عنها، التي حنت عليه ساعة العسرة، وواسته في أيام الشدة بنفسها ومالها، كما فقد ﷺ سنده وعونه الخارجي، المتمثل في عمه أبي طالب، الذي أظهر من النبل في كفالته، ومن الرجولة والشهامة في الدفاع عنه، فكان العام العاشر من البعثة بحق، عام الحزن، فقد تحمل النبي ﷺ فيه من الشدة ما لا يتحمله بشر على الإطلاق، إلا أن يكون نبياً.

كانت حادثة الإسراء والمعراج، الحدث الأضخم من أحداث الدعوة الإسلامية التي سبقت البعثة، لقد كانت مسحاً لجراح الماضي، وتثبيتاً لقلب النبي ﷺ، وتبشيراً بمستقبل واعد، وتعويضاً عن جفوة الأرض بحفاوة السماء.

مشاهداته ﷺ:

أما عن بعض مشاهداته في هذه الحادثة، فعن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ، طَوِيلٌ، فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ، قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، قَالَ: فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ، قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ، فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ، عَلَيْهِ السَّلَام، بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنَيْ الْخَالَةِ؛ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا، وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا}، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَحَّبَ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ

السَّلَام، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ، قَالَ: فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ، تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ؛ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَخَبَرْتُهُمْ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَبَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام، حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ، فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً؛ فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ، فَلَمْ يَعْمَلْهَا، لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا، كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً، قَالَ: فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي، حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ)(4)، وعاد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى بيت المقدس، فصلى بالمسجد الأقصى صلاة الصبح إماماً، والأنبياء خلفه(5) وانتهت رحلته، صلى الله عليه وسلم، وبعد عودته إلى مكة ذهب عنه كل كرب وغم،

وهم وحزن، وحينما أخبر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قومه برحلته، وبما رآه من آيات ربه، اشتد تكذيبهم له، وارتد بعض من لم يرسخ الإيمان في قلبه، وذهب بعض المشركين إلى أبي بكر، رضي الله عنه، وقالوا له: إن صاحبك يزعم أنه أسري به إلى بيت المقدس، فقال أبو بكر، رضي الله عنه: إن كان قال فقد صدق (6).

العبر والعظات

1. إن الإسلام دين الفطرة، وقد ظهر ذلك في اختيار النبي ﷺ اللبن على الخمر، وبشارة جبريل، عليه السلام، له، بقوله: (هديت الفطرة).

2. أهمية المسجد الأقصى المبارك، فيعتبر مجيء النبي ﷺ إليه، وعروجه منه فتحاً معنوياً للمسجد الأقصى، قبل أن يكون فتحاً سياسياً وعسكرياً، وفي ذلك توجيه للمسلمين من بعد؛ ألا يفرطوا في المسجد الأقصى.

3. صلاته ﷺ بالأنبياء إماماً، دليل على هيمنة هذا الدين على بقية الأديان، ووراثة النبي ﷺ لشرائع الأنبياء من قبل.

4. وإذا كان الإسلام قد نسخ الشرائع السماوية السابقة، فإن قيادة البشرية قد انتقلت إلى الأمة الإسلامية، وبهذا تصبح هذه الأمة هي المؤهلة للقيادة والريادة.

5. إن مسرى النبي ﷺ للمسجد الأقصى، رغم أنه لم يكن مسجداً في ذلك الحين، بل كان مكاناً لتجميع القمامة، دليل على أن هذا المكان كان مسجداً، وسيعود مسجداً، رغم المحاولات كلها لهدمه، وطمس معالمه، هكذا ينبغي أن يعي المسلمون أهمية القدس في تاريخهم، وأهمية المسجد الأقصى في دينهم، وفي عقيدتهم، وفي حياتهم، ومن أجل ذلك حرص المسلمون طوال التاريخ أن يظل هذا المسجد بأيديهم.

6. في الإسراء والمعراج دليل على أهمية الصلاة؛ فالعبادات كلها شرعت في الأرض، والصلاة شرعت في السماء، فهي هدية السماء إلى الأرض، وهي منحة الله تبارك وتعالى

للخلق، من أداها خمساً كتبت له خمسين، فالحسنة بعشر أمثالها، فالصلاة هي معراج كل مسلم، فإذا كان النبي ﷺ قد عرج به إلى السماوات العلا، فلديك أخي المسلم معراج روحي، تستطيع أن ترقى به إلى السماء بوساطة الصلاة:

فالصلاة ذكر، قال تعالى: {إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} (7) والصلاة قُرب، قال تعالى: {كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ}(8)، والصلاة خشوع، قال تعالى: {الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ}(9)، والصلاة مناجاة، قال ﷺ: (إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى، يُنَاجِي رَبَّهُ، فَلَا يَتْفِلَنَّ عَنْ يَمِينِهِ، وَلَكِنْ تَحْتَ قَدَمِهِ الْيُسْرَى)(10)، والصلاة وعي، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا} (11)

7. وفي الإسراء والمعراج تتجلى حقيقة أن الله سبحانه وتعالى مع أنبيائه وأوليائه، فحينما طلبت قريش منه أن يصف بيت المقدس، أخذ يصف لهم المسجد، كأنه ينظر إليه (12)

الخلاصة:

لا شك في أن العبر والعظات لهذه المعجزة كثيرة لا يتسع المقام لذكرها، ونستطيع أن نقول: إن حادثة الإسراء والمعراج لتضع في أعناق المسلمين أمانة القدس الشريف، فالتفريط في القدس، تفريط في مكة والبيت الحرام، بل هو تفريط في دين الله، وسيسأل الله سبحانه المسلمين عن هذه الأمانة إن فرطوا في حقها، أو تقاعسوا عن نصرتها، لا سيما أن القدس في هذه الأيام تتعرض لحملة شرسة من قبل أعداء الله؛ لطمس معالم الإسلام والعروبة فيها، والحفريات مستمرة لخلخلة أساسات المسجد لهدمه في النهاية، وإقامة هيكلهم المزعوم.

وستظل معجزة الإسراء والمعراج مدرسة للمسلمين، يستلهمون منها الدروس والعبر،

حتى يحققوا قول الله فيهم: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ}(13).

نسأل الله سبحانه العلي القدير، الذي فرّج عن الرسول ﷺ في تلك الليلة المباركة، وحقق له المعجزات الباهرة، أن يكرم أمته بالفرج والنصر المبين على أعداء الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش

1. الإسراء: 1.
2. تهذيب سيرة ابن هشام، ص 152، الأحاديث المختارة: 9/ 181.
3. صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه.
4. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى السماوات وفرض الصلوات.
5. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال، بلفظ (فحانت الصلاة فأمتهم).
6. معاني القرآن، النحاس، 2/ 344.
7. طه: 14.
8. العلق: 19.
9. المؤمنون: 2.
10. البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب المصلي يناجي ربه عز وجل.
11. النساء: 43.
12. صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب حديث الإسراء.
13. آل عمران: 110.

نفحات من الإسراء والمعراج

الشيخ حسن أحمد جابر/ مفتي محافظة رفح

الحمد الله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد؛

ففي هذا الشهر المبارك شهر رجب، وقعت حوادث عظيمة، جعلت المسلمين يطبقون الإيمان تطبيقاً عملياً لا نظرياً، وأعظم تلك الحوادث؛ حادثة الإسراء والمعراج، حيث كرم الله نبيه، صلى الله عليه وسلم، فأسرى به من المسجد الحرام بمكة المكرمة، إلى المسجد الأقصى المبارك ببيت المقدس، ثم عرج به إلى السماوات العلا، حيث رفعه سبحانه وتعالى حتى أسمعه صريف أقلام الملائكة، وهي تكتب أعمال العباد وأرزاقهم، ورأى من آيات ربه الكبرى، وجاءت هذه الحادثة تسرية للنبي، صلى الله عليه وسلم، وتكريماً له، ودفاعاً عنه من كيد الكائدين، بعد أن لقي شتى صنوف العذاب بمكة، فذهب إلى الطائف لعله يجد أفقاً أرحب، وأرضاً أصلب، لكن أهل الطائف كانت قلوبهم أشد غلظة من قلوب أهل مكة، فأغروا به صبيانهم وعبيدهم، فرجموه بالحجارة حتى أدموا قدميه الشريفتين، وأصبح مجرداً من كل سلاح، إلا سلاح الإيمان بالله عز وجل.

فلما رجع الرسول إلى مكة، خاطبته العناية الإلهية قائلة: يا محمد بقدرتنا ستجتاز الأرض والسماء، وبإرادتنا تتخطى الصعاب والأهوال، فكانت رحلتا الإسراء والمعراج.

وحري بنا في هذه الذكرى العطرة أن نستلهم الدروس والعبر منها، التي لو استلهمها المسلمون؛ لتحققت لهم العزة والنصر، ولازدادوا تمسكاً بأرضهم وعقيدتهم، ومن هذه الدروس ما يأتي:

إن أرض المسلمين وحدة واحدة، لا تتجزأ، وإنها ليست محلاً للابتزاز أو التفريط، أو التنازل عن أي جزء منها، وكأن النبي، صلى الله عليه وسلم، ينادي أمته، فيقول: يا مسلمون، إن كنتم تحافظون على المسجد الحرام وترعونه، فحافظوا على المسجد الأقصى؛ فهو أولى القبلتين، وثاني المسجدين، وثالث الحرمين الشريفين، وهو باب الأرض إلى السماء، ومسرى الأنبياء والرسل عليهم السلام.

وأما الدرس الثاني الذي يجب على المسلمين أن يستلهموه، هو تفضيل أمة محمد، صلى الله عليه وسلم، على سائر الأمم، وتفضيل نبينا على سائر الأنبياء، يدل على ذلك أنه لما وصل النبي، صلى الله عليه وسلم، إلى بيت المقدس، جمع له الأنبياء والرسل، يقول النبي، صلى الله عليه وسلم: (فَحَانَتْ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ) (1)، وهذا فضل من الله عز وجل على النبي، وعلى أمته، ويصور الشاعر هذا الموقف الجليل، فيقول:

أسـرى بك الله ليلاً إذ ملائكه ... والرسل بالمسجد الأقصى على قدمِ

لمـا خطرت به التفوا بسيدهم ... كـالشهب بالبدر أو كالجندي بالعلم

صلى وراءك منهم كل ذي خطر ... ومـن يفـز بحبيب الله يأتمـم

وأما الدرس الثالث؛ فيصور لنا معراج رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من المسجد

الأقصى إلى السماوات العلا في قوله تعالى: {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى}(2)، ورأى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ثواب من عمل الخير، وعقاب من عمل الشر، فرأى أناساً بطونهم كالبيوت فيها الحيات، ترى من خارج بطونهم، فقال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة الربا (3)، ورأى الزناة، ينتهبون اللحوم المنتنة، ويدعون اللحوم الطيبة (4)، ورأى النبي، صلى الله عليه وسلم، أناساً يزرعون في يوم، ويحصدون في اليوم الثاني، وقال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء المجاهدون في سبيل الله، تضاعف لهم الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف(5)، وفي هذه الليلة المباركة، وفي هذا الشهر المبارك شهر رجب الخير، فرضت على النبي وعلى أمته أشرف عبادة، ألا وهي الصلاة، التي هي عماد الدين، وهي الصلة بين العبد وربه، حيث فرضت في أول الأمر خمسين صلاة في اليوم والليلة، فما زال النبي، صلى الله عليه وسلم، يسأل ربه التخفيف، حتى أصبحت خمساً في العمل، خمسين في الأجر (6).

أيها المسلمون؛ لقد حدث الإسراء والمعراج في شهر رجب المبارك، فانتهزوا أيامه المباركة، وقدموا لأنفسكم فيها خيراً، واذكروا أنها كانت على عهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أيام كفاح لم يذق خلالها طعم الراحة، ورغم ذلك استطاع أن ينقذكم ويدافع عنكم، فاحرصوا على إيمانكم ومقدساتكم؛ لأنها أمل نبيكم فيكم، ودعوته الخالدة لكم.

فهذا هو شهر رجب، شهر البركات والنفحات، الذي يسبق شهر رمضان، فأكثروا فيه من الطاعات، وأعمال الخير كافة، (فهو شهر عظيم؛ لما جاء في الأثر أن رجب شهر الزرع، وشعبان شهر السقي، ورمضان شهر الحصاد)(7).

وفي الختام؛ نسأل الله العلي القدير، أن يحفظ بلادنا ومقدساتنا من كيد الكائدين، وأن يأتي العام القادم، وقد حقق الله آمالنا فى توحيد كلمتنا، ورص صفوفنا، وتحرير ترابنا، وبناء صرح دولتنا الفلسطينية المستقلة، وعاصمتها القدس الشريف، وما ذلك على الله بعزيز.

الهوامش

1. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال.
2. النجم: 1ـ 18.
3. مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة، وقال شعيب: إسناده ضعيف.
4. مسند الحارث، ج1، ص 172.
5. دلائل النبوة للبيهقي، ج2، ص398.
6. صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء.
7. http://www.muslm.net/vb/showthread.php?t=304467

قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل:43)

أنت تسأل والمفتي يجيب

الشيخ محمد حسين / المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية

1. كيفية حفر القبور واتجاهها ومقاييسها

السؤال: أرجو بيان الحكم الشرعي في حفر القبور واتجاهها ومقاييسها، حيث إننا بصدد إنشاء مقابر جديدة، أرجو إعطائي فتوى شرعية بذلك، وجزاكم الله خيراً.

الجواب: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق، سيدنا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فبالإشارة إلى سؤالك المثبت نصه أعلاه، فإن الوارد أن يجعل الميت في قبره على جنبه الأيمن، ووجهه قبالة القبلة، وعلى هذا جرى عمل أهل الإسلام من عهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى يومنا هذا، وقد ثبت عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: (الْبَيْتِ الْحَرَامِ قِبْلَتِكُمْ، أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا)(1)، وينبغي أن يُدنى من حائط القبر القبلي الأمامي؛ لئلا ينكب على وجهه، وأن يسند من خلف ظهره بتراب؛ لئلا ينقلب على ظهره.

وذهب بعض خبراء الدفن من المسلمين إلى أن حدود القبر الأكبر أن يكون بطول 200سم، وعمق 130سم، وعرض 75سم، وأن يكون ارتفاع اللحد 55سم، وعرضه 50سم، الداخل منه 25سم، والخارج منه 25سم، تنقص هذه المقاسات كلما نقصت جثة

الميت، وتزيد كلما زادت، ولا تقييد في ذلك، ولكننا نقتدي بهديه، صلى الله عليه وسلم؛ بأمره بإعماق القبر، وتوسيعه وتحسينه، فعن رجل من الأنصار قال: (خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنْ الأَنْصَارِ، وَأَنَا غُلامٌ مَعَ أَبِي، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى حُفْرَةِ الْقَبْرِ، فَجَعَلَ يُوصِي الْحَافِرَ، وَيَقُولُ: أَوْسِعْ مِنْ قِبَلِ الرَّأْسِ، وَأَوْسِعْ مِنْ قِبَلِ الرِّجْلَيْنِ، لَرُبَّ عَنْقٍ لَهُ فِي الْجَنَّةِ)(2)، وعن هشام بن عامر قال: (شُكِيَ إِلَى رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الجِرَاحَاتُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ: احْفِرُوا، وَأَوْسِعُوا، وَأَحْسِنُوا، وَادْفِنُوا الاِثْنَيْنِ وَالثَّلاَثَةَ فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ، وَقَدِّمُوا أَكْثَرَهُمْ قُرْآنًا، فَمَاتَ أَبِي، فَقُدِّمَ بَيْنَ يَدَيْ رَجُلَيْنِ).(3)

2. تسجيل طفلة باسم حاضنتها في شهادة الميلاد

السؤال: حصلت سيدة على موافقة لحضانة طفلة من وزارة الشؤون الاجتماعية، واستلمت الطفلة قبل سبعة أشهر تقريباً، وقد طلبت تغيير اسم الأم في شهادة الميلاد، واستبداله باسم المُتَبَنّية، واشترطت الوزارة موافقة سماحتكم.

علماً أن المتبنية موظفة في جامعة، ويكفل لها القانون التعليم المجاني للطفلة، وظروفها الاقتصادية جيدة، وعاهدت الله أن تقوم برعاية هذه الطفلة رعاية كاملة، وأن تعلمها مكارم الأخلاق، وأصول ديننا الحنيف.

فهل يجوز تغيير اسم الأم إلى اسم الحاضنة، أو اسم قريب لها، حتى لا تتأثر نفسية الطفلة، رغم أنها ستعلمها بالحقيقة حينما تكبر، فلا ذنب لها فيما اقترف أبواها، شاكرين لكم جهودكم الخيرة سلفاً.

الجواب: فإن تغيير اسم الأم في شهادة الميلاد واستبداله باسم المُتَبَنّية غير جائز شرعاً، لقوله تعالى: {ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ}(4)، لأن في هذا التغيير إثبات نسب كاذب للمُتَبَنّى، يؤدي إلى ملابسات حقوقية ومالية، حاضراً أو مستقبلاً، وللخروج من هذا المأزق، فلها أن تكفلها.

ويجوز للكافل أن ينسب المكفول لاسم عائلته فقط، عن طريق الموالاة، والله تعالى يقول: {فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ}(5)، ويقول رسول الله ﷺ: (أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَدْخَلَتْ عَلَى قَوْمٍ مَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ، فَلَيْسَتْ مِنْ اللَّهِ فِي شَيْءٍ، وَلَنْ يُدْخِلَهَا اللَّهُ جَنَّتَهُ، وَأَيُّمَا رَجُلٍ جَحَدَ وَلَدَهُ، وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ احْتَجَبَ اللَّهُ مِنْهُ، وَفَضَحَهُ عَلَى رُءُوسِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ).(6)

وبناء عليه، فنرى أن يختار الكافل المربي اسماً مكوناً من ثلاثة مقاطع (الاسم الأول للولد، ثم اسماً لأبيه، واسماً للجد) بحيث لا ينطبق أي اسم من المقاطع الثلاثة على اسم المربي، ثم يعطيه اسم عائلته عن طريق الموالاة، علماً أن لمجلس الإفتاء الأعلى قراراً بالخصوص يحمل رقم 1 /22/ عام 1998م، ويقضي بحرمة إعطاء المُتَبَنّى اسم المُتَبَنّي.

3. شراء شقة عن طريق بنك إسلامي

السؤال: أريد شراء شقة في إحدى المشاريع الإسكانية، وكان الاتفاق أن أدفع في البداية مبلغ 2000 دولار، كدفعة أولى، وكتبت 24 شيكاً باسم الشركة صاحبة المشروع، وهي شيكات شهرية لحين وقت التزام الشركة القائمة بالمشروع بتسليمي الشقة جاهزة للسكن، وبعد ذلك يكون تسليم باقي المبلغ كاملاً للشركة القائمة بالمشروع، حيث سأقوم بدفع باقي ثمن الشقة من خلال بنك إسلامي، الذي يشتري الشقة ويبيعها لي على فترة زمنية محددة بسعر مرابحة من البنك المذكور، فهل تجوز هذه المعاملة شرعاً؟ علماً بأن البنك لا يوافق على الالتزام بقبول هذه المعاملة إلا بعد إصدار أوراق الطابو الخاصة بالشقة عند تجهيزها، فهل يجوز لي بأن أقوم بتحويل الشراء إلى البنك بعد جاهزية الشقة كما ذكرت؟

الجواب: فإن عقد شراء الشقة التي اشتريتها من صاحب المشروع يعد عقداً صحيحاً مكتمل الأركان، وتعتبر المبالغ التي دفعتها جزءاً من ثمن الشقة، فإذا أراد البنك أن يمول هذه الشقة، فالأصل أن يُفسخ العقد بينك وبين صاحب العمارة، وتقوم باسترداد المبلغ

الذي دفعته له، ثم يمكن للبنك أن يقوم بشراء الشقة بعقد مستقل بينه وبين صاحب العمارة، فيما تقوم أنت لاحقاً بعمل عقد شراء جديد بينك وبين البنك، ولا يكون لصاحب العمارة أي علاقة معك.

4. الهدنة

السؤال: ما رأي الشرع في موضوع الهدنة ومدتها؟

الجواب: فإن الهدنة لغة هي: السكون بعد الهيج، وشرعاً: مصالحة أهل الحرب على ترك القتال مدة معينة، وهي من الموادعة والمعاهدة، ولقد شرع الله تعالى الصلح والهدنة بين الناس، لما فيه مصلحة راجحة، أو ضرورة لازمة، أو حاجة داعية، وبخاصة حين اللجوء إليها لفض النزاع بين المتشاجرين من أبناء المجتمع الواحد، حقناً للدماء، وإعطاء فرصة للتحقيق في ملابسات الجرائم، وتطويق المشاكل، وحصر آثارها عن أبناء أطراف النزاع وممتلكاتهم، وعليه فإن الهدنة جائزة شرعاً؛ لما تحققه من أمن مجتمعي، وسلمٍ أهلي، بشرط أن لا تخالف في أي من بنودها ضوابط الشرع وأحكامه.

5. الدّين

السؤال: ما رأي الشرع الإسلامي في موضوع الدّين، وكتابة الدّين إلى أجل، وتصديقه عند كاتب عدل؟

الجواب: فإن الدّين من المعاملات الجائزة بين الناس؛ لسد حاجاتهم، والتوسيع عليهم في حالة العسر أو الحاجة، كما دعاهم الله لكتابة هذا الدّين، وذلك لحكم عظيمة، منها؛ حفظ حق الدائن والمدين، وتجنباً لحدوث خلافات بين الناس، والدليل على جواز الدَّين والحث على كتابته، قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً..}(7)، ولا بأس في توثيق الدّين لدى الجهات الرسمية المختصة.

6. دور علماء الشريعة في حل المشكلات جنباً إلى جنب مع رجال العشائر

السؤال: ما رأي الشرع الحنيف في دور علماء الشريعة الإسلامية في حل المشكلات، وإصلاح ذات البين جنباً إلى جنب مع رجال العشائر (الإصلاح العشائري)؟

الجواب: بداية نود التنبيه إلى الآتي:

أولاً: إن مصطلح (رجال الدين) ليس موجوداً عند المسلمين؛ لأنه يفضي إلى الاعتقاد بوجود وسطاء بين العبد وربه، ونحن نعتقد أن لا وسيط بين الخالق والمخلوق؛ لقوله تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}.(8)

ثانياً: لعلماء الأمة دور كبير وفعال في حل المشكلات والنزاعات بين الأطراف؛ لأن رسالة الإسلام رسالة سامية وخالدة؛ جاءت بهدف نشر الأمن والطمأنينة، والسعادة والسكينة، بين أفراد المجتمع الإسلامي؛ من هنا كان واجباً على علماء الأمة، ورجال الإصلاح، الوقوف جنباً إلى جنب بهدف التعاون على حل المشكلات بين الناس؛ والمتعارف عليه أن لرجال العشائر دوراً إصلاحياً في المجتمع، وهو دور يقدره الشرع إذا التزموا بالضوابط الشرعية؛ التي تقتضي اعتماد شريعة الله مرجعاً لاستخراج الأحكام الخاصة بحل مشكلات المجتمع ومصدراً لها، والله تعالى يقول: {وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمَ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}.(9)

7. بيع السَلَم

السؤال: ما الحكم الشرعي في السَلَم، كأن يقوم الشخص الأول بدفع مبلغ 4000 شيقل بتاريخ 22 / 9 / 2010م للشخص الثاني، وذلك ثمن عشرين تنكة زيت يتم استلامها بتاريخ 22 / 12/ 2012م، أي بعد سنتين وثلاثة شهور، علماً بأن سعر تنكة الزيت حالياً يساوي 450 شيقلاً.

الجواب: فإن عقد السَلَم من العقود المشروعة، لقول سيدنا محمد ﷺ: (مَنْ أَسْلَفَ فِي

شَيْءٍ، فَفِي كَيْلٍ مَعْلُومٍ، وَوَزْنٍ مَعْلُومٍ، إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ)(10)، على أن تتحقق أركانه من عاقدين وصيغة وثمن والمسلّم فيه، وكذلك شروطه من تسليم الثمن في مجلس العقد، وأن يكون المسلّم فيه مما يمكن ضبطه بالوصف، بحيث تنتفي الجهالة، ويعلم جنسه وقدره وصفته، ومقدوراً على تسليمه، وأن يكون ديناً في الذمة إلى أجل، ومعين موضع التسليم. وعليه؛ فإنه يجوز شرعاً إجراء عقد السَلَم المشار إليه في سؤالك، على أن لا يشترط أن يكون زيت الزيتون من أرض معينة، لأنه لا يؤمن تلفه، وأن يكون وزن تنكة الزيت معلوماً للعاقدين، وفي الحديث الصحيح : (.. كُنَّا نُسْلِفُ نَبِيطَ أَهْلِ الشَّأْمِ فِي الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَالزَّيْتِ، فِي كَيْلٍ مَعْلُومٍ، إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ، قُلْتُ: إِلَى مَنْ كَانَ أَصْلُهُ عِنْدَهُ؟ قَالَ: مَا كُنَّا نَسْأَلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ؟...).(11)

والله تعالى أعلى وأعلم

الهوامش

1. سنن أبي داود، كتاب الوصايا، باب مَا جَاءَ فِي التَّشْدِيدِ فِي أَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وحسنه الألباني.
2. مسند أحمد، تتمة مسند الأنصار، حَدِيثُ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال شعيب الأرناؤوط إسناده قوي.
3. سنن الترمذي، كتاب الجهاد عن رسول الله ﷺ، بَابُ مَا جَاءَ فِي دَفْنِ الشُّهَدَاءِ، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني.
4. الأحزاب: 5.
5. الآية السابقة.
6. سنن أبي داود، كِتَاب الطَّلَاقِ، باب أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء ولن يدخلها الله جنته.
7. البقرة: 282.
8. البقرة: 186.
9. المائدة: 2.
10. صحيح البخاري، كتاب السَلَم، باب السَلَم في كيل المعلوم.
11. صحيح البخاري، كتاب السلم، باب السلم إلى من ليس عنده أصل.

دراسة النظام المدرسي ومشكلاته والتواصل اللاعنفي

أ. يوسف عدوي / جامعة بيت لحم – كلية التربية

تمهيد

الحمد لله، الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء، الذي اصطفى سيدنا محمداً، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وعلى آله وأصحابه، ومن استن بسنته إلى يوم الدين، وبعد؛

ففي هذا البحث سأتطرق إلى مسألة مهمة جداً في المنظومة التربوية التعليمية، وهي موضوع النظام المدرسي ومشكلاته والتواصل اللاعنفي؛ لأهمية هذا الموضوع، خاصة بعد أن أصبحت بعض مدارسنا في هذه الأيام، تشكو من الفوضى وقلة النظام، ولعدم مبالاة بعض الطلبة تجاه الدراسة والانضباط والتصرف بحكمة، فأكثر ما يشكو منه المعلمون هو ما يبدو على طلبتهم من عدم الحس واللامبالاة في الدرس، أو من الكسل والخمول في أداء الواجبات المدرسية والبيتية، وكأنما يساقون إلى المدرسة سوقاً، وقد يثور الطلبة في وجوههم، وكأنهم يمارسون حركة من التمرد والعصيان، وقد تصبح أحياناً نوعاً من التحدي، وصراع الإرادات، ومع أن عدداً لا بأس به من المعلمين لا ينقادون إلى استخدام وسائل العنف ضد طلبتهم، إلا أنهم مع ذلك يجدون في ظاهرة التمرد هذه أمراً غير مستساغ وغير مقبول، ويرون ضرورة الحفاظ على هيبة القانون والنظام لما فيه

مصلحة الجميع وخيرهم، ويؤمنون بعلاج هذه الظاهرة بالحكمة والتعقل.

* مفهوم النظام لغة: من نظم الأشياء نظماً: ألفها وضم بعضها إلى بعض، ونظم اللؤلؤ ونحوه: جعله في سلك، ويقال: نظم أمره: أقامه ورتبه. وانتظم أمره: استقام، والنظام: الخيط ينظم فيه اللؤلؤ وغيره، والنظام: الترتيب والاتساق. ونظام الأمر: قوامه وعماده. (1)

* النظام اصطلاحاً: توفير جو يتسم بدرجة مناسبة من الهدوء؛ كي تتم عملية التفاعل بين الطلبة والمعلم والإدارة من ناحية، والطلبة أنفسهم من ناحية أخرى، والالتزام بقوانين المدرسة بشكل ينبع من رغبة الطلبة أنفسهم بأن يتعلموا ويستغلوا كل فرصة متاحة لهم.

* التواصل لغة: من وصل يصل وصلاً، وصل الشيء بالشيء وصلاً: ضمه به وجمعه، وهو ضد الهجر، وصل حبله بفلان: برّه ورحمه، ومن معانيها العطف والرفق. وصل إلى بني فلان: إذا انتمى إليهم وانتسب. قال تعالى: {إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىَ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ}(2).

* التواصل اصطلاحاً: هو إرسال رسالة واستقبال رسالة لها هدف.

* مفهوم العنف لغة: من عنف به وعليه عنفاً وعنافة: أخذه بشدة وقسوة ولامه وعيره، فهو عنيف.

* العنف اصطلاحاً: سلوك يؤدي إلى إلحاق الأذى الشخصي بالآخرين، سواء إيذاء جسدياً أو إيذاء معنوياً، بالسباب والتجريح والألفاظ السيئة.

المعلمون والنظام المدرسي

يتطلع المعلمون إلى قرار حازم وسريع إزاء أي مخالفة للنظام المدرسي وأسسه، وبخاصة

لمشكلات الشغب والتمرد والعصيان؛ لأن في مثل هذه المشكلات ما يقلل من هيبة المعلم في نظر طلبته، واحترامهم له، فضلاً عن إشاعة جو من الفوضى في الصف، يعوق سير العملية التربوية فيه إلى حد كبير، ويصرف المعلم معظم الوقت محاولاً حل المشكلات، بدلاً من التركيز على العمل التربوي، والتفاعل معه، ولمصلحة الطلبة جميعاً في المقام الأول، على الرغم أن من يقوم بهذه المشكلات عدد قليل من الطلبة، ولكنهم يؤثرون على سير الحصة وتصرفات الطلبة الآخرين، وقد يقلدونهم ويزداد عدد الطلبة مثيري الشغب والمشكلات.

وقد يود بعض المعلمين لو يتخلصون من هؤلاء الطلبة أصحاب المشكلات هذه، ويطردونهم من المدرسة، ولكن هذا الحل بالنسبة إلى طلبة المدرسة إجراء ليس من السهل القيام به وتنفيذه، إلا في حالات يستعصي فيها الحل، أو أن يتكرر حدوثها، فالمدرسة كما هو معروف، مكان للتربية وليس للعقاب، وما دام أن أي مشكلة تتطلب حلاً سريعاً، لا بد لنا فيها من الرجوع إلى أسبابها إذا ما أردنا لها حلاً سليماً وناجعاً، ونكون قادرين على استئصالها.

وقد يلجأ المعلم إلى إخراج الطالب المشاغب من الحصة، وقد يحتجز في المدرسة إلى ما بعد انتهاء الدوام المدرسي، أو توقيفه عن الدراسة يوماً أو بعض يوم أو أكثر، وقد يجد في هذا الأسلوب حلاً مؤقتاً للمشكلة، ولكنه لن يشكل حلاً دائماً يتناول أسباب المشكلة، ويعمل على علاجها بعد ذلك، بما يعيد المدرسة والتعليم فيها إلى دائرة اهتمام الطالب، فالمطلوب من المعلم في هذه الحالة أن يتصرف مع مثل هذا الطالب الذي يميل للفوضى والتشويش بأسلوب بعيد عن القسوة، ولا يدخل في عداد أساليب العقوبات، إذا ما أراد أن تعود الأمور في الصف إلى سابق عهدها في كل ما يتعلق بسير العملية

التربوية داخل الصف والمشاركة الإيجابية في الحصة، وبعث التفاعل فيها من جديد.

بعض المعلمين يستدعون ولي أمر الطالب؛ لإطلاعه على وضع ولده في الصف بشكل خاص، والمدرسة بشكل عام؛ ليكون لهذا أثره الفاعل في حل مشكلة الطالب، لكن النتائج العملية لهذا الأسلوب لا تتفق في غالب الأحيان مع توقعات المعلم منها، فيريد المعلم أن يعاقب الوالد ابنه، فيرى الطالب أن المدرسة هي السبب في المشكلة وتفاقمها.

إن المعلم الحاذق يحاول دائماً أن يحل مشكلة الطالب بنفسه ومعه، دون أن يشرك أحداً غيرهما باعتبارها مشكلة داخلية يقتصر حلها عليهما وحدهما، وهو أمر يجدر بالمعلم والمدرسة معاً العمل على حله دون تدخل خارجي من أي جهة كانت، وإن واجب المدرسة أن لا تخبر أولياء أمور الطلبة إلا بما هو إيجابي فقط، وما هو في صالحهم؛ فعلى المعلم أن يشجع الطلبة في تقبل ذلك، بقوله لهم: (إن المدرسة على يقين بأن كلاً منكم قادر على حل مشكلته بنفسه، ودون تدخل من أحد). في هذه الحالة يدرك الطالب أن المدرسة لا ترضى بعقابه ولا ترغب، أو تسعى لذلك، وما يريده المعلم هو حل المشكلة لما فيه مصلحته، ولا تقوم بأي إجراء أو عقاب من أجل العقاب نفسه أو الرغبة فيه.

إن هذا لا يعني أن تقطع المدرسة صلتها بأولياء أمور الطلبة، بل على العكس من ذلك أن تقوي من هذه الصلة، والنصيحة التي تقدمها المدرسة لأولياء الأمور هي أن يقضوا مع أولادهم في البيت أطول فترة ممكنة، يجد الجميع فيها المتعة والسرور، بما يضفي جواً من الود والمحبة على العلاقة بين الطرفين، وكذلك الحال إذا اجتمع به في المدرسة، ومن الأهمية بمكان أن يقضي الأب نفسه هذا الوقت الممتع مع طفله في المدرسة.

مظاهر العناد عند الأطفال أو الطلبة

1 – رفض الطلبات والنواهي.

2 – الإصرار على ممارسة سلوكات غير لائقة ومتصادمة مع مصلحة الصف أو المدرسة.

3 – التفرد في الرأي ورفض المصالحة.

4 – الغضب لأسباب مختلفة قد تكون بعين الكبار تافهة.

5 – التأخر في إنجاز المهمَّات وعدم تأديتها بإتقان.

6 – رفض حل الواجبات البيتية والصفية.

7 – رفض أمور مهمة؛ مثل: النظافة، وغسل الوجه، والاستحمام، والنوم في الموعد المحدد، وغيرها.

8 – إثارة المشكلات في الصف خاصة في أثناء الحصص.

أسباب متعددة ودوافع كثيرة تجعل الطالب عنيداً

1 – الإهمال والحرمان بأشكاله المختلفة؛ الجسدي والعاطفي والاجتماعي و.....

2 – استبداد الوالدين.

3 – القدوة والنماذج السيئة.

4 – الفشل المتكرر.

5 – الاضطرابات العصبية.

6 – الضغط النفسي.

7 – إظهار القدرة على المجابهة.

8 – الحالة الصحية للطفل.

9 – الحماية الزائدة للطفل.

10 – المحاكاة والتقليد، مثل الوالدين.

مهارات التواصل اللاعنفي وتوظيفها في حل النزاعات والخلافات المدرسية

التواصل هو إرسال رسالة لها هدف واستقبالها.

العنف يؤدي إلى الكذب، والحرمان، والفشل، والصراخ، والغضب، والظلم، والاستبداد، والإحباط. أما اللاعنف فيقوم على التسامح، والمساواة، والعدل، وحرية الرأي، والحنان، والرحمة، والتفاهم، وتقبل آراء الآخرين، والاستماع لهم. قال تعالى: {وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ}(3).

فالتواصل هو أداة تحقيق الفهم والتفاهم بين الأفراد، وهو وسيلة لتحقيق التفاعل والتعاطف مع الآخرين والتعبير عن الآراء والأفكار والمشاعر وغيرها، والتواصل وسيط حيوي في عمليات الحوار والنقاش والتفاوض والتوسط في حل الخلافات والنزاعات.

فالتواصل يجب أن:

1 - يؤدي إلى تقوية القدرة على التعاطف مع الآخرين.

2 - أن يتم الاستماع إلى الآخرين بتركيز ووعي تام لما يقولونه.

3 - نستخدم لغة القلب المفعمة بالدفء العاطفي والمحبة والثقة والأمان.

فالإسلام يعتبر الوسيلة مهمة، مثلها مثل الغاية، فلا يجوز اللجوء إلى وسائل شريرة لتحقيق غايات نبيلة، والقاعدة الإسلامية معروفة في هذا الصدد: فلا ضرر ولا ضرار، ودرء المفاسد خير من جلب المنافع. ومن مسؤوليات المسلم أن يأمر الآخرين، ويذكرهم بالمعروف، ويتبعه، وأن ينهاهم عن المعاصي، ولا يأتيها، عملاً بقوله عز وجل: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}(4).

المصادر والمراجع

1 - القرآن الكريم.

2 - إدارة الصف وتنظيمه، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، 2008م.

3 - التنمية المهنية لمعلمي التعليم الأساسي، وائل صلاح محمد وآخرون، إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008م.

4 - دليل المدرس في التربية على حقوق الإنسان، عمارة بن رمضان وصالح الطرابلسي، المعهد العربي لحقوق الإنسان، تونس، 2001م.

5 - الصحة النفسية، مصطفى فهمي، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، 1976م.

6 - اللاعنف في الإسلام، عبد الرحمن عباد، هيئة العلماء والدعاة، القدس، 1996م.

7 - المدرسة مشاكل وحلول، محمد عبد الرحيم عدس، دار الفكر، عمان، 1998م.

8 - المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، إبراهيم مصطفى وآخرون، مصر، 1972م.

9 - مهارات التواصل اللاعنفي وتوظيفها في حل النزاعات والخلافات المدرسية، خيري عبد اللطيف وآخرون، وكالة الغوث الدولية، معهد التربية، عمان، 2004م.

10 - نشرة العناد عند الأطفال، برنامج الصحة النفسية المجتمعية، وكالة الغوث الدولية، 2009م.

الهوامش

1 - المعجم الوسيط، ج2، ص 933 .

2 - النساء: 90.

3 - آل عمران: 159.

4 - آل عمران: 104.

أبعاد تربوية

هُموم الكِبر

أ. كمال بواطنه
وزارة التربية والتعليم - رام الله

يبدأ الإنسان ضعيفاً، ثمّ يقوى، ثمّ تأتي مرحلة الضعف والأفول، وما فيها من شيب ووهن، وتقهقر في الحواسّ، ومرض...، والمرء في مرحلة القوة يغترّ، فيهيّأ له أنّ القوة ستستمرّ، ولكنّ هذا المخدوع سرعان ما يصحو على الحقيقة المرّة، ويدرك أنّ ما مضى من قوّته لا يمكن أن يعود، وأنّ القوّة والشباب سيؤولان إلى ضعف، وهرم، وشيخوخة، وشيب، ومرض.

قال أحدهم: في مرحلة شبابي كنت أحدّث نفسي بمناطحة حيطان البيت، وأقول: ترى لو وضعت رجليّ على الحائط ودفعته، ألا ينهار؟! واليوم ها أنت تراني، يصدق فيّ قول الشاعر:

أرعشني الزمـــان أيّ رعش وكنت ذا قــوّة وبطش
قد كنت أمشي ولست أعيا واليوم أعيا ولست أمشي

كنت آكل كلّ شيء، وكنت أحدّث نفسي أنّ معدتي تهضم الحجارة، وكنت أطير كالفراشة، وألسع كالنحلة، وكنت أهنأ بنومي؛ فبمجرد أن أضع خدّي على الوسادة أنام ملء جفوني، وكنت أنهض كالغزال، وأزأر كالأسد؛ أكسّر القيود، وأقهر الصعاب، وكنت حديد البصر، مثل زرقاء اليمامة، وكنت لا أصدق أن الناس يمرضون...، واليوم

انقلبت أحوالي؛ (اشتدّ مني ما كنت أحبّ أن يلين، ولانَ منّي ما كنت أحبّ أن يشتدّ)، وغشيت عيناي، وغدا حالي كذلك الرجل المعمَّر من الأعراب الذي مرّ عليه الحجّاج، فقال له: كيف حالك؟ فقال الأعرابيّ: إن أكلت ثقلت، وإن تركت ضعفت. فقال: كيف نومك؟ قال: أنام في المجمع، وأسهر في المضجع. قال: كيف قيامك وقعودك؟ قال: إن قعدت تباعدت عني الأرض، وإن قمت لزمتني. فقال: كيف مشيك؟ قال: تعقلني الشعرة، وتعثرني البعرة.

ثمّ مضى صاحبنا في حديثه، فقال: لقد هجم المشيب على شبابي، فأراني من فجائعه ما أراني، وأنساني متع الشباب، ثمّ أنشد بتحسّر أبيات العريان بن الهيثم:

سلني أنبئك بآيات الكبر نوم العشي وسعال بالسحر

وقلة النوم إذا الليل اعتكر وقلة الطعم إذا الزاد حضر

وسرعة الطرف وتحميج النظر والناس يبلون كما يبلى الشجر

وقال: يا صديقي؛ الناس يدعون لإخوانهم بطول العمر، ولكنّي بعد أن رأيت ما رأيت من بلايا الكبر، أصبحت مع ما أنشده زهير بن أبي سلمى:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولاً لا أبالك يسأم

وما أنشده أسامة بن منقذ:

لا تحسدنّ على البقاء مُعَمَّراً فالموت أيسر ما يؤول إليه

وإذا دعوت بطول عمر لامرئ فاعلم بأنّك قد دعوت عليه

ولو كان الواحد منا عاقلاً، ومدركاً لحقائق الأمور لدعا مع الداعي:

يا ربّ لا تبقني إلى زمن أكون فيه كلاً على أحد

خذ بيدي قبل أن أقول لمن ألقاه عند القيام خذ بيدي

ثمّ أردف يقول مواسياً نفسه، ومستسلماً لواقع الحال: إنّ خير ما يصوّر رحلتنا في هذه

الحياة حكاية عبيد بن شريه الجرهمي، فقد كان عبيد هذا من المُعمَّرين، وفد على معاوية رضي الله عنه، وكان مما سأله: كيف رأيت الدهر؟ قال: سنيّات بلاء، وسنيّات رخاء، ويوم شبيه بيوم، وليلة شبيهة بليلة، يهلك والد، ويخلف مولود، فلولا الهالك لامتلأت الأرض، ولولا المولود لم يبق أحد، وأنشد:

وما الدهر إلا صدر يوم وليلة ويولد مولود ويفقد فاقد

وساع لرزق ليس يدرك قوته ومهدى إليه رزقه وهو قاعد

يا أخي، الحياة رحلة، سنعيشها بحلوها ومرّها، والعاقل من يعرف كنهها، ويعرف ما يطرأ فيها من تغير على الأحياء؛ ولذا فهو يوطن نفسه على ما يأتي في قابل أيامه، يجتهد في أوقات شبابه وفراغه، بما يبلغه ربّه، وقد أخذ الأهبة ليوم الحساب، والشيخ من أمثالي ينتظر من الناس أن يكونوا له عوناً وأن يحترموه، (مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخًا لِسِنِّهِ، إِلا قَيَّضَ اللَّهُ لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ)(1)، وفي هذا بشارة لمن يكرم أمثالي بطول العمر، والإكرام، وما أسرع ما يطوّحنا الزمان، فينقلنا من الشبيبة إلى الهرم، ومن الصحّة إلى السقم، ومن الصدارة في الحياة وسعتها إلى زاوية ضيقة فيها، تكاد تخلو من المؤنسين، ومن الحياة إلى الممات، وغداً ستتذكّر كلامي يوم يصيبك ما أصابني، ويوم تشرب من الكأس الذي شربت منه، وعندها ستردّد مثل ما تسمعني أردّد دوماً:

ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب

إنّ كلام هذا الشيخ ينبغي أن ينبهنا إلى طائفة من الناس تعيش بيننا، لهم همومهم، من حقّهم علينا أن نقدّر عطاءهم السابق؛ فمنهم من كان في فترة عطائه يلتفّ حوله الناس، يأمر فيأتمر الناس بأمره، فكانت طاعتهم غنماً، ثمّ تقاعدوا، فانحسر عنهم الناس. من حقّهم علينا أن نتفّهم نفسيّاتهم، وما يحسّون به من غربة، وقد مات معظم من في سنّهم.

إذا ذهب القرن الذي كنت فيهم وخلّفت في قرن فأنت غريب

من حقّهم علينا أن نهيئ لهم الظروف المناسبة؛ ليقضوا مصالحهم بارتياح.

من حقّهم علينا أن نوفّر لهم الخدمة الطبيّة المجانية.

من حقّهم علينا أن نوفّر لهم جوّاً هادئاً ينعمون فيه بالراحة.

من حقّهم علينا ألا نتأفّف ونحن نخدمهم. من حقّهم علينا أن نسهر على خدمتهم.

ومن حقّهم علينا -وقد كانوا سبباً في وجودنا- ألا نلقيهم في ملاجئ العجزة، وإن كانت توفّر لهم جميع متطلباتهم المادية، فإنّ مطالب الروح والعاطفة أهمّ بكثير.

من حقّهم علينا أن نستمع إلى نصائحهم.

من حقّهم علينا أن نسمع شكواهم. من حقّهم علينا أن ندعو لهم بالرحمة والمغفرة أحياءً وأمواتاً..ألم تر إلى ربّنا -وهو يوصي بالوالدين في سورة الإسراء- أشار إلى مجموعة من الواجبات، قال تعالى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً }(2)، ألا تقل لهما: {أُفٍّ}، و{أُفٍّ} هو جري نفس، ولو كانت هناك كلمة أخفّ من (أفّ) لقالها ربّنا، وكذلك {وَلاَ تَنْهَرْهُمَا}؛ لفرط حساسيتهما من أيّ لون من الإيذاء، وأن تقول لهما قولاً كريماً، لا غلظة فيه، وأن تتواضع عندهما بأن تخفض لهما جناح الذلّ من الرحمة، وأن ترحمهما؛ لأنّهم ضعيفان، وليس هذا فحسب بل عليك أن تدعو لهما دائماً بالرحمة كما ربياك صغيراً، وكلّ هذا لا يجازيهما معشار ما قدّماه لك!!

ومن الخير أن أنهي مقالتي بكلمات خاطب بها والد ابنه، أنقلها (بتصرّف) (أي بنيّ؛ في يوم من الأيام ستراني عجوزاً، غير منطقي في تصرفاتي عندها، من فضلك، أعطني بعض الوقت، وبعض الصبر؛ لتفهمني.

أي بنيّ؛ عندما ترتعش يدي، فيسقط طعامي على صدري، وعندما لا أقوى على لبس ثيابي، تذكر سنوات مرت، وأنا أعلمك ما لا تستطيع فعله اليوم.

أي بنيّ؛ إذا أخرجت كلمات مكررة، وأعدت عليك ذكرياتي، فلا تغضب، فكم كررت من أجلك حكايات وحركات، فقط؛ لأنها كانت تفرحك!! أي بنيّ، إن لم أعد أنيقاً، جميل الرائحة، فلا تلمني، واذكر في صغرك محاولاتي لأجعلك أنيقاً، جميل الرائحة.

أي بنيّ؛ لا تضحك مني إن لم أفهم جيلكم هذا، وكن أنت عيني وعقلي؛ لألحق بما فاتني.

أي بنيّ؛ أنا من أدبتك، أنا من علمتك كيف تواجه الحياة، فكيف تعلمني ما يجب وما لا يجب؟!!

أي بنيّ؛ لا تملّ من ضعف ذاكرتي، وبطء كلماتي، فسعادتي الآن هي فقط أن أكون معك.

أي بنيّ؛ ساعدني فقط لقضاء ما أحتاج إليه، فما زلت أعرف ما أريد.

أي بنيّ؛ ارحم شيخوختي وضعفي، خذ بيدي، فغداً تبحث عمّن يأخذ بيدك.

أي بنيّ؛ أنا أنتظر الموت، فكن معي، ولا تكن عليّ، اغفر زلاتي، واستر عوراتي، غفر الله لك، وسترك، كنت معك حين ولدت، فكن معي حين أموت.

أي بنيّ؛ ما زالت ضحكاتك وابتساماتك تفرحني، فلا تحرمني صحبتك، حفظك الله، وحماك من بعدي).(3)

الهوامش

1. سنن الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله، باب ما جاء في باب إجلال الكبير، وضعفه الألباني.
2. الإسراء: 23ـ 24.
3. انظر: موقع لها أون لاين، بتصرف.

أهداف إسرائيل عزل القدس عن ترابطها الجغرافي مع الضفة الغربية

د. حنا عيسى/ أستاذ القانون الدولي

رغم قواعد القانون الدولي وأحكامه، وقرارات الأمم المتحدة، واتفاقات السلام، التي وقعت بين إسرائيل ومصر، وإسرائيل والأردن، وإسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية. فجميعها لم تتمكن من تحقيق الحماية لمدينة القدس المحتلة، بل إن إسرائيل استغلت حجم العلاقات الناشئة معها، لتقوم بمصادرة الأراضي، والاستيلاء عليها بمزيد من التهويد والاستيطان، فبعد حرب حزيران سنة 1967م، قامت إسرائيل بمصادرة الأراضي الأميرية المملوكة للدولة أساساً لصالح الجيش والأمور العسكرية، والسعي لبناء مستوطنات واسعة ومنتشرة في كل الضفة الغربية، بما فيها القدس المحتلة بهدف التهويد، واستيعاب المهاجرين، واستملاك الأراضي اللازمة ومصادرتها، لتشكيل محيط حيوي لمعسكرات الجيش والمستوطنات، فيما عرف بالحماية الطبيعية، والطرق الالتفافية؛ لتجنب مواجهة أعمال المقاومة الوطنية، والسعي المتواصل لإخراج السكان من أراضيهم عبر الضرائب، والملاحقات، وتدمير المزروعات، خاصة شجر الزيتون، وتشجيع المستوطنين وحمايتهم؛

للسيطرة على الأراضي، والأملاك الفلسطينية العربية في القدس وغيرها، ناهيك عن بنائها جدار الفصل العنصري، لتشكيل سجن كبير للشعب الفلسطيني، ولتحقيق مزيد من السيطرة عليه، ولضم مساحات جديدة من الأراضي والمياه الجوفية.

ويتمحور الهدف الأساس من وراء كل ما ذكر أعلاه بالنسبة إلى إسرائيل وأطماعها التوسعية، بخلق أمر واقع لا يمكن الرجوع عنه في أي تفاوض سياسي مستقبلي.

إن ما قامت به إسرائيل، وتقوم به من عملية استيلاء، ومصادرة مبرمجة لأراضي مدينة القدس، بهدف عزلها عن محيطها العربي، وعن ترابطها الجغرافي مع الضفة الغربية، تمهيداً لضمها بالكامل، وإخراجها من مصطلح الضفة الغربية، والعمل على توفير مساحات تتوسع تدريجياً لاستيعاب المهاجرين اليهود، لتنفيذ عملية التهويد الديمغرافي.

إن ما قامت به إسرائيل سنة 1980م كقوة عسكرية، بإعلان ضم القدس إلى كيانها السياسي رسمياً، هدفت من وراء ذلك، إلى تقليص الوجود الفلسطيني داخل حدود ما يسمى بلدية الاحتلال الجديدة، ومنع أي حكومة إسرائيلية من التوصل إلى أي اتفاق، يمس السيادة الإسرائيلية على القدس.

واللافت للنظر حالياً أن مستقبل القدس القديمة أصبح -تقريباً- نسخة طبق الأصل عما جرى في مدينتي يافا وعكا الفلسطينيتين، حين طُرِد أكبر عدد من الفلسطينيين بقوة السلاح (قسراً)، لتتحول هذه المدن إلى مستعمرات ومدن سكنها اليهود كأغلبية ساحقة.

وخلاصة القول، إن جميع ما أُتفق عليه مسبقاً مع إسرائيل لم ينفذ منه شيء، وبالتالي

حتى قرار 181 لسنة 1947م المتعلق بتدويل مدينة القدس، وبدء المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية، وتوقيع إعلان المبادئ في 1993/9/13م، وانتهاءً بتطبيق الاتفاق، لم تتضح مسألة القدس ومكانتها القانونية، رغم جهود الوساطة ومحاولاتها، التي قام بها أطراف إقليمية دولية من أجل التوصل إلى تسوية سلمية للصراع العربي الإسرائيلي، وإن كل الخطط والمبادرات، ومشروعات التسوية السياسية، ما زالت القدس بعيدة عن التسوية السياسية الحقيقية، التي يمكن -من خلال حلها- أن تقود إلى سلام عادل وشامل ودائم.

وعليه، فإن العملية السلمية تمر بمأزق خطر، وبمرحلة حرجة، نتيجة لسياسات الحكومات الإسرائيلية المتطرفة، التي أرادت أن تترجم توازن القوى إلى أمر واقع، في حين أن سلام توازن المصالح المتبادلة هو الذي يوفر القناعة لدى الشعوب للمحافظة عليه، لكن في الواقع، تبدو إسرائيل اليوم مجتمعاً ونخباً سياسية، أبعد عن السلام من أي وقت مضى، منذ توقيع اتفاق أوسلو سنة 1993م، وأكبر مثال على ذلك، تصريح وزير خارجية إسرائيل ليبرمان بتاريخ 4 /1 /2010م، عندما قال: من المهم إجراء حوار مع الفلسطينيين، دون قطع وعود لا يمكن الوفاء بها على أرض الواقع، معرباً عن اعتقاده بأنه يجب الشروع في مفاوضات سلام، دون تحديد موعد لإنهائها، وهذا يعني أن إسرائيل ترفض وقف الاستيطان أولاً، ولا تعترف بالمرجعية الدولية ثانياً، ولاتريد حلاً لقضايا الوضع النهائي ثالثاً.

قضايا سياسية

الاستيطان في الخطاب السياسي الإسرائيلي

أ. زكريا السرهد/ رام الله

المقدمة

منذ اللحظة الأولى لاحتلال إسرائيل للأراضي العربية عام 1967، أعلنت إسرائيل عن نيتها تنفيذ بناء مستوطنات في الأراضي العربية المحتلة جميعها. وقد توحد الخطاب السياسي في تلك اللحظة بشأن الاستيطان على اعتبار أن هذه الأراضي هي جزء من الأراضي الإسرائيلية. وشُرع في بناء المستوطنات في مختلف المناطق، وخاصة بعد أن أعلنت إسرائيل ضم القدس الشرقية.

وعلى الرغم من أن الاستيطان الإسرائيلي لم يتوقف منذ تلك اللحظة وإلى الآن، فإنه لا يمكن النظر إليه بمعزل عن العديد من المؤثرات والمعيقات والتطورات، كالعوامل والمؤثرات الداخلية الإسرائيلية الحزبية، وتبدل الحكومات بين فترة وأخرى، وعوامل ومؤثرات خارجية كالصراع العربي الإسرائيلي، والمتغيرات على الساحة الإقليمية والدولية، الأمر الذي انعكس على طبيعة الخطاب السياسي الإسرائيلي بشأن الاستيطان.

الخطاب السياسي الإسرائيلي بشأن الاستيطان منذ 1967م- 1977م فترة حكومة حزب العمل

كان الاستيطان من المحاور الأساسية الساخنة في إسرائيل في الفترة المذكورة بين حزب المعراخ -العمل- الذي استلم السلطة في تلك الفترة، وحزب الليكود المعارض، ومعه مجموعة من الأحزاب اليمينية المتشددة، فقد أظهر حزب المعراخ في خطابه السياسي التزاماً بالاستيطان في الأراضي الفلسطينية المحتلة، على أن يكون هذا الاستيطان انتقائياً، وقدم مفهوماً جديداً في الخطاب السياسي الإسرائيلي بشأن الاستيطان، وهو ما يعرف (بالاستيطان الأمني)، وذلك بربط الاستيطان بالاعتبارات الأمنية، وتجنب الاستيطان في المناطق الفلسطينية مزدحمة السكان، في حين أن الأحزاب الإسرائيلية اليمينية المعارضة، أظهرت تشدداً في خطابها السياسي بشأن الاستيطان، كحزب الليكود، وحزب المفدال، وحركة إسرائيل الكاملة، وحركة كاخ، والتي رأت بمشروعية الاستيطان وإباحته في الأراضي العربية كافة، وأراضي الضفة الغربية وقطاع غزة على وجه الخصوص، مقدمة ذلك في خطابها السياسي على أن الأراضي الفلسطينية هي جزء من إسرائيل(1).

وفي تلك الفترة أفرز الخطاب السياسي الإسرائيلي مجموعة من المشاريع السياسية، كانت الرؤية السياسية للاستيطان هي المحور الأساس لها، كمشروع بن غوريون، ومشروع ألون، والتي جاءت ضمن رؤية حزب المعراخ الذي حاز على السلطة في الفترة المذكورة حول ربط الاستيطان بالاعتبارات الأمنية، وتجنب الاستيطان في المناطق كثيفة السكان. وضمن إفرازات الخطاب السياسي لحكومة المعراخ، قُدِّم مشروع سياسي آخر عام 1972م، بما يعرف بمشروع بن غوريون، الذي أشار فيه إلى وجود استعداد لدى إسرائيل لإعادة الأراضي التي احتلتها جميعها باستثناء القدس، والجولان، والمناطق التي أقيمت فيها مستوطنات، بما فيها المستوطنات في الضفة الغربية، وذلك في حال تم

التوصل إلى سلام مع الدول العربية(2)، وحافظ هذا الخطاب على وتيرة ثابتة تظهر شرعية ما يعرف (بالاعتبارات الأمنية)، واستمرار الاستيطان في القدس، وخلق بيئة مواتية لمجموعة من المشاريع والخطط الاستيطانية، منها: مشروع قدمه البروفسور أبراهام فخمان، ومشروع قدمه رعنان فايتس، ومشروع قدمه يسرائيل جليلي(3)، ومشروع قدمه البروفسور يوسف الفر، والبروفسور مارك هيلان(4).

لقد تعرضت إسرائيل إلى هزيمة عسكرية في حرب أكتوبر عام 1973م، وهذا ترك أثراً غير مباشر على طبيعة الخطاب السياسي الإسرائيلي، فأصبح خطاباً سياسياً (تعويضياً) بالانكفاء نحو التأكيد على الاحتفاظ بالضفة الغربية وقطاع غزة، وتشجيع الاستيطان فيهما(5).

1977م ـ 1984م حكومة الليكود

تضمن البرنامج الانتخابي لحزب الليكود لانتخابات عام 1977م (الاستيطان في أنحاء أرض إسرائيل كافة)، وفور استلام حزب الليكود السلطة، وانسجاماً مع خطابه السياسي السابق المتشدد إزاء الاستيطان إبان فترة حكم حزب المعراخ، أظهر مناحيم بيغن - رئيس الحكومة آنذاك - إباحة الاستيطان في الأراضي الفلسطينية المحتلة جميعها، وذلك بالإعلان عن نيته فتح باب الاستيطان على مصراعيه، إن هذا الخطاب السياسي لحزب الليكود بشأن إباحة الاستيطان في المناطق التي احتلتها إسرائيل كلها عام 1967م، دون قيود أو اعتبارات، عزز ظهور حركات سياسية، يرتبط وجودها بالبرامج الاستيطانية، وتوسع حركات أخرى، كانت موجودة أصلاً قبل وصول حزب الليكود إلى السلطة، فقد ازداد نشاط حركة غوش ايمونيم الاستيطانية، ونشأت حركات أخرى مثل حركة عطيرت كوهانيم عام 1978م، وحركة توراة كوهانيم التي نشأت في عام 1979م،

وحركة شباب إسرائيل، وجمعية عطيرا ليوشنا التي نشأت عام 1979م. وأظهرت هذه الحركات تشدداً منقطع النظير في الخطاب السياسي إزاء الاستيطان، والذي عززته أيضاً بخطاب ديني، وكانت تركز في خطابها على أهمية الاستيطان في القدس من أجل تحويلها إلى مدينة يهودية(6). وهذا أثّر كثيراً في الخطاب السياسي لحكومة الليكود آنذاك، بحيث أصبح مكبلاً إلى حد ما برؤية هذه الحركات للاستيطان، حتى إن حزب العمل لم يتجاوز الانحباس في (الاستيطان) في خطابه السياسي، وانعكس ذلك في برنامجه الانتخابي الذي تضمن (دعم الاستيطان القروي والبلدي في قضاء القدس والجولان وغور الأردن وقضاء رفح ومنطقة شرم الشيخ)، وأنه يتم في إطار السياسة الحكومية الرامية إلى ضمان حدود سلمية قابلة للدفاع(7)، وعلى الرغم من ظهور خطاب سياسي أقل حدة من قبل بعض حمائم حزب العمل بشأن الاستيطان الذين حاولوا تقديم برنامج انتخابي تضمن (إظهار النوايا بعدم الرغبة في ضم المناطق المحتلة إلى إسرائيل)، فإن هذا الخطاب كان تأثيره محدوداً وهامشياً(8).

توقيع معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل

في عام 1978م بُدئ بمحادثات سلام مع مصر برعاية أمريكية، ووقع على اتفاقية كامب ديفيد في 26 /3 /1979م، والتي تضمنت إخلاء منطقة سيناء المصرية من المستوطنات، الأمر الذي وضع حكومة الليكود في اختبار صعب مع خطابها السابق حول الاستيطان، وكيف أن هذه الحكومة اضطرت إلى إجبار بعض المستوطنين في مستوطنة ياميت التي أقيمت في سيناء على ترك بيوتهم، والعودة إلى داخل إسرائيل، ووضعت هذه السابقة الخطاب السياسي الإسرائيلي بشأن الاستيطان في منحى جديد، وبشكل خاص ذلك الخطاب الذي يقدمه حزب الليكود الذي يعتبر أن الاستيطان يجب أن يكون في كل

مكان، وخلقت منافذ للتشكيك في مصداقيته أياً كانت الجهة التي تروج له، كما أنه أيضاً أثار شكاً حول جدية الخطاب الذي يقدمه حزب العمل حول الاستيطان، والذي أكد في برنامجه عام 1981م على أهمية الاستيطان (كمشروع له قيمة اجتماعية وقومية، وأمنية لإسرائيل)(9). فيما تناوله الليكود في برنامجه الانتخابي على أنه (حق وجزء لا يتجزأ من أمن الأمة، وسنعمل لتعزيزه وتوسيعه وتطويره).(10)

العدوان الإسرائيلي على لبنان 1982م

كانت إسرائيل تدعي بأن حربها على لبنان والقضاء على منظمة التحرير الفلسطينية، تهدف بالدرجة الأولى إلى ضمان أمن الإسرائيليين في المناطق الشمالية، بعد أن زادت الضغوطات على القيادة السياسية بهذا الشأن، مع التشكيك في جدية الخطاب السياسي الإسرائيلي وواقعيته، الذي لا يخلو من إطار أمني بشكل دائم، والذي يعتبر الاستيطان من أدواته أيضاً، إلا أنه كان قد وقع في تناقض حول القدرة على جلب الأمن للسكان من خلال الردع، ومن خلال تشكيل سلسلة مستوطنات حدودية، مثل مشروع الاستيطان في وادي عربة الذي يطرحه حزب العمل.

وفي عام 1984م برز الخطاب السياسي الإسرائيلي بشأن الاستيطان جلياً في البرامج الانتخابية للأحزاب الإسرائيلية، ليس فقط فيما يتعلق بامتطاء صهوة الاستيطان لجذب الجماهير، ولكن أيضاً بظهور خطاب آخر مخالف تماماً، تعبر عنه بعض الأحزاب اليسارية الصغيرة، فحزب الجبهة (حداش) أظهر معارضته الشديدة للاستيطان، بل أعلن أنه (سيناضل من أجل إزالة المستوطنات من جميع المناطق المحتلة).(11)

الانتفاضة الأولى عام 1987م

في أواخر عام 1987م اندلعت الانتفاضة في المناطق الفلسطينية جميعها، وأخذت تلقي

بظلالها على طبيعة الخطاب السياسي الإسرائيلي بشأن النظرة إلى السكان الفلسطينيين تحت الاحتلال، حيث كانت القناعة الإسرائيلية بأن الخطر الذي يهدد إسرائيل، يأتي من الخارج، فيما وجدت نفسها تواجه الخطر من الداخل(12)، وشكلت تحدياً جدياً لمفهوم الاستيطان في هذا الخطاب، والذي يتعلق بأمن المستوطن نفسه، الذي أصبح طالباً للأمن، بدلاً من أن يكون أداةً له، وبعد فشل الحل العسكري الذي حاولت إسرائيل من خلاله إنهاء الانتفاضة، بدأت تظهر في الخطاب السياسي الإسرائيلي ملامح البحث عن حلول سياسية، وإن لم يظهر فيها الاستيطان بشكل مباشر، فقد كان له ارتباط وثيق بالحلول السياسية، ولم يكن بمعزل عنها بشكل مطلق.

من مؤتمر مدريد إلى اتفاقية أوسلو (1992م ـ 1994م)

بعد انتهاء حرب الخليج الثانية، بدأت الضغوط الأمريكية تزداد على إسرائيل بشأن الشروع في البحث عن حل للقضية الفلسطينية، وكانت حكومة الليكود في ذلك الوقت برئاسة اسحق شامير، تقدم خطاباً سياسياً متشدداً بشأن الاستيطان، وفي الوقت ذاته، كانت إسرائيل تواجه أزمة مالية؛ بسبب تدفق اليهود السوفييت المهاجرين إليها، مما جعلها تتوجه إلى الولايات المتحدة الأمريكية، بهدف الحصول على ضمانات قروض بقيمة عشرة مليارات دولار، إلا أن الرئيس الأمريكي جورج بوش طالب الكونغرس بتأجيل النظر في طلب إسرائيل بشأن الحصول على هذه الضمانات، بسبب استمرارها في بناء المستوطنات في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وكان وقف الاستيطان أحد الشروط الأساسية التي كانت تقدمها الدول العربية لأمريكا من أجل البدء في أي عملية سلام مع إسرائيل، وحدثت الخلافات بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، بل إن إسرائيل هاجمت الموقف الأمريكي، ورفضت الشروط التي قدمتها الولايات المتحدة

الأمريكية. لذا، جُمِّد هذا القرار(13)، الذي جاء أيضاً ضمن التشكيك بشأن قيمة إسرائيل الإستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية بعد حرب الخليج، وفق إشارات بعض المحللين الأمريكيين، الأمر الذي حدا بالسفير الإسرائيلي لدى الولايات المتحدة إلى الدعوة لاستعادة هذه العلاقات كما كانت سابقاً.(14)

وقد أفرز موقف الحكومة الإسرائيلية هذا جدلاً واسعاً، ظهر في الخطاب السياسي للحكومة الإسرائيلية والأحزاب الأخرى، فبعضها كان يؤيد موقف الحكومة الإسرائيلية، كونها تمس قضية الاستيطان التي تعتبرها مسألة مركزية وحساسة في برنامجها وخطابها السياسي، وبعضها الآخر رأى في إمكانية التعامل مع الموقف الأمريكي، وتعليق النشاط الاستيطاني، كحزب العمل الذي أظهر في حملته الانتخابية -في ذلك الوقت- بأن هناك مليارات الدولارات التي تتم إضاعتها في بناء المستوطنات في الضفة الغربية، وأنه سوف يغير مسار هذه المليارات باتجاه تطوير مستوى المدن التي يسكنها اليهود الشرقيون ورفعها، وخفض نسب البطالة(15). إلا أنه -ورغم هذا التباين في الخطاب السياسي لحزبي الليكود، والعمل بشأن الاستيطان-، فإن الخطاب كان موحداً بشأن الاستيطان في القدس، حيث إنهما، وفي ذروة الحملة الانتخابية عام 1992م، وقّع الحزبان ما عرف باسم ميثاق القدس، الذي يعني ضمناً الاستمرار في الاستيطان في القدس.(16)

وعندما تولى حزب العمل السلطة عقب انتخابات الكنيست الثالث عشر، أخذت الحكومة تتخذ بعض القرارات في إطار ترتيب الأولويات بالنسبة إلى الاستيطان بهدف الإفراج عن الضمانات الأمريكية للقروض الإسرائيلية، واستجابة للضغوط بشأن مسيرة السلام في المنطقة، وقد ظهر مفهوم جديد في الخطاب السياسي لحزب العمل بشأن الاستيطان، وهو مفهوم (المستوطنات السياسية)، إلى جانب مفهوم (المستوطنات

الأمنية)(17)، الذي كان قد ظهر سابقاً، وقامت الحكومة الإسرائيلية باتخاذ قرارات بشأن تجميد البناء في المستوطنات(18)، الأمر الذي لقي معارضة من قبل المستوطنين، وذلك على لسان الأمين العام لمجلس المستوطنات أوري أريل الذي قال: (إن ثلاثين مستوطنة ستتوسع قبل نهاية صيف 1992م، ولن يتوصل رابين إلى إيقاف هذه العملية الجارية).(19)

وازداد الجدل في الخطاب السياسي لحزبي العمل والليكود حول الاستيطان، وارتباط موضوعه بالضمانات الأمريكية، فقد اتهم نتنياهو رئيس حزب الليكود بأن حكومة حزب العمل قد باعت مبادئها بثمن بخس، وهو الضمانات الأمريكية للقروض الإسرائيلية، وانتقد بشدة ما يقدمه الخطاب السياسي لحزب العمل بشأن مفهومي (المستوطنات الأمنية) و(المستوطنات السياسية)، قائلاً: (لا توجد في تاريخ إسرائيل مستوطنة أمنية وأخرى سياسية، وإنما كانت هناك مستوطنة إسرائيلية). وقد رد إسحق رابين على ذلك موضحاً موقف حزب العمل من الاستيطان بأنه يؤيد الاستيطان في القدس الكبرى، وعلى طول خطوط المواجهة ومرتفعات الجولان.(20)

- وبعد توقيع اتفاقية السلام بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل في 13/ 9/ 1993م، ورغم أن الخطاب السياسي الإسرائيلي بشأن الاستيطان بدا هادئاً، إلا أن الأمور على الأرض لم تشر إلى وجود انسجام بين هذا الهدوء الخادع وحجم الأعمال الاستيطانية، وأخذت وتيرة الخطاب السياسي بشأن الاستيطان تتصاعد، وتركزت حول المفهوم الإسرائيلي للاتفاقات مع الجانب الفلسطيني، والذي أظهر أن تأجيل البت في ملفات القدس والاستيطان واللاجئين لا يلزمها وقف الاستيطان، وكانت تروج أيضاً بأن هذه الاتفاقات والبروتوكولات لا تتضمن نصوصاً ملزمةً بذلك، وعشية الانتخابات

الإسرائيلية عام 1996م تضمن البرنامج الانتخابي لحزب الليكود الإشارة إلى أن المناطق الأمنية الحيوية للدفاع عن إسرائيل والمستوطنات اليهودية ستبقى تحت السيادة الإسرائيلية الكاملة(21)، وهو يتوافق مع ما تضمنته البرامج الانتخابية للأحزاب الدينية (المفدال، شاس، حراس التوراة)، بشأن الاستيطان، بالدعوة لتعزيزه وتوسيعه في الضفة الغربية وقطاع غزة(22). فيما تمت الإشارة إلى الاستيطان في برنامج حزب العمل الانتخابي أن (السيادة على وادي الأردن، شمال غرب منطقة البحر الميت، وكتلة عتسيون، والمناطق المهمّة بالنسبة إلى إسرائيل)(23).

أما (ميرتس) فقد أظهرت في برنامجها الانتخابي معارضة واضحة بشأن سياسة الاستيطان في الأراضي المحتلة، وطالبت بأن تسعى إسرائيل إلى فك المستوطنات الإسرائيلية الصغيرة المعزولة، حتى أثناء المفاوضات الحالية(24)، كما ظهر تقاطع في الخطاب السياسي لحزبي العمل والليكود بشأن الاستيطان في القدس، تمخض عن توقيع وثيقة إعلان مبادئ عام 1996 بين الحزبين، هدفه تحديد النظرة إلى الحل الدائم مع الفلسطينيين وتوحيدها، على اعتبار أن القدس الموحدة عاصمة أبدية لإسرائيل، مع وضع سلطة خاصة للأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية فيها، على أن يعترف الجانب الفلسطيني بالقدس عاصمة لإسرائيل، مقابل اعتراف إسرائيلي بالمركز السلطوي للكيان الفلسطيني(25).

وبعد فوز نتنياهو في هذه الانتخابات، تبنت حكومته تنفيذ برامج استيطانية، وخطط رفعت عدد المستوطنين في الأراضي الفلسطينية المحتلة إلى 170 ألف مستوطن(26). فقد تم البدء في بناء مستوطنة (هارحوما) على جبل (أبو غنيم) جنوب القدس، الأمر الذي أعاد التركيز على الاستيطان في الخطاب السياسي الإسرائيلي في بعد جديد، وهو

بعد (اتفاقية السلام مع الفلسطينيين) اتسم في أغلبه بالإنكار والتهديد للفلسطينيين.

ورفض نتنياهو التراجع عن القرار الذي اعتبره بمثابة التراجع عن السيادة الإسرائيلية(27)، وأدى هذا القرار إلى تصعيد في الخطاب السياسي الإسرائيلي بشأن الاستيطان لمواجهة الاحتجاجات الفلسطينية، التي تضمنت التلويح بتجميد المفاوضات، خاصة أن الضغوط قد ازدادت على نتنياهو للبدء في بناء المستوطنة في (جبل أبو غنيم) بالتهديد بحل الحكومة من قبل الأحزاب اليمينية المشاركة فيها، فقد ذكر وزير الزراعة آنذاك روفائيل ايتان (أنه إذا لم توافق الحكومة على البناء في القدس، في حي رأس العامود، وفي جبل حوماه، فإنها ستحل)، فيما أن تصريحات وزير الداخلية، كانت خطيرة بشأن الخطاب الموجه للفلسطينيين بأنه (إما البناء في جبل أبو غنيم أو الحرب)، وصرح وزير الدفاع إسحاق مردخاي (أن الانتقادات لن تثنينا عن البناء في جبل أبو غنيم)، إلا أنه في مقابل هذا الخطاب المتشدد، برز خطاب آخر بدا عقلانياً، فقد أشار يوسي بيلين في مقالة نشرها أن (البناء في جبل أبي غنيم خطوة غير حكيمة)، فيما أن رئيس بلدية القدس الأسبق تيدي كوليك، قال (إنني لست ضد الاستيطان، ولكن الوقت غير مناسب). كما ذكر (موشيه ساسون) وهو سفير سابق لإسرائيل في القاهرة (أن البناء في (أبو غنيم) يدمر السلام)، فيما ذكر (ايهود باراك) في مؤتمر صحفي في عمان، عقد مع رئيس الحكومة الأردنية الأسبق (عبد الكريم الكباريتي)، أنه كان ينبغي على إسرائيل أن تتشاور مع عناصر في العالم العربي، قبل أن تتخذ قرار بناء حي يهودي في جبل (أبو غنيم)(28).

وقد أدخل حزب الليكود ما يعرف (بحرب التلال) في الخطاب السياسي الإسرائيلي بشأن الاستيطان في الأراضي الفلسطينية، والتي تمثلت بالاستيلاء على الأراضي المرتفعة،

بهدف إقامة مستوطنات عليها، وطالب نتنياهو الكنيست بالمصادقة على ميزانية عام 1999م بزيادة 137 مليون دولار؛ لتمويل مشاريع الاستيطان في الضفة الغربية(29).

وفي انتخابات عام 1999م، أبرزت بعض البرامج الانتخابية للأحزاب الإسرائيلية خطاباً متشدداً بشأن الاستيطان، فقد تضمن البرنامج الانتخابي لقائمة الوحدة الوطنية بزعامة بني بيغن معارضة الانسحاب من أي شبر من الأراضي المحتلة، والتأكيد على (عدم إزالة أية مستوطنة)، فيما أن حركة (يهوديت هتوراه الموحدة) دعت لحظر أي انسحاب من الأراضي الفلسطينية المحتلة، واصفة إياها (بأرض إسرائيل)(30)، مما يفهم ضمناً أنها تعارض إزالة أي مستوطنة.

انتفاضة الأقصى عام 2000م

اندلعت انتفاضة الأقصى في 28 /9 /2000م، على إثر قيام شارون بزيارة استفزازية للمسجد الأقصى، التي كانت بمثابة الصاعق الذي فجر الضغوطات التي عاشها الشعب الفلسطيني بعد أعوام من المفاوضات، ولم تفضِ إلى تحقيق أية نتائج في العملية السياسية بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي، وخاصة بعد محادثات كامب ديفيد بين رئيس الوزراء الإسرائيلي أيهود باراك، والرئيس الفلسطيني ياسر عرفات.

وأظهر الخطاب السياسي للحكومة الإسرائيلية بعد فشل التوصل إلى حل نهائي للمفاوضات، أن الفلسطينيين لا يريدون السلام، وأسس هذا الخطاب لعودة حالة التشدد الإسرائيلي، الأمر الذي استغله اليمين الإسرائيلي، وانعكس على الرؤية الإسرائيلية لمفاصل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي جميعها، وخاصة فيما يتعلق بالاستيطان والقدس، وخلق المناخ المناسب لأريئيل شارون للقيام بزيارته الاستفزازية للمسجد الأقصى كرد على الخطاب السياسي للحكومة الإسرائيلية بشأن السلام مع

الفلسطينيين، والعروض التي قدمتها الحكومة الإسرائيلية بقيادة حزب العمل حول القدس، بمنح صلاحيات على بعض المناطق في البلدة القديمة والأماكن المقدسة.

وتواصل الاستيطان في عهد رئيس حكومة حزب العمل (أيهود باراك)، الذي أدخل مفهوماً جديداً إلى الخطاب السياسي بشأن الاستيطان، وهو مفهوم (المستوطنات الشرعية) و (المستوطنات غير الشرعية)، وفي ضوء هذا التقسيم اعتمد باراك منهجاً بتحويل البؤر الاستيطانية إلى مستوطنات، وذلك بتزويدها بالخدمات الضرورية، وشق الطرق؛ لتصل إليها، فقرر إزالة خمس عشرة بؤرة استيطانية، والاحتفاظ بسبعٍ وعشرين بؤرة، ومع بداية انتفاضة الأقصى ارتفع عدد البؤر الاستيطانية إلى ستٍ وستين بؤرة(31).

إعادة انتخاب شارون

وفي ظل هذه الأوضاع والظروف أجريت انتخابات الكنيست الخامسة عشرة، وكان من أبرز نتائجها عودة الليكود إلى السلطة، في ظل تشدد الجمهور الإسرائيلي، وزيادة ميوله نحو اليمين. إن 64 % من الإسرائيليين يؤيدون تفكيك المستوطنات، في الوقت ذاته، فإن أغلبية الجمهور الإسرائيلي، تختار حكومة الليكود التي تشدد على قضية الحفاظ على الاستيطان والاستمرار فيه(32)، وهذا إما أنه يشير إلى حالة انتقال خاطفة من الاعتدال إلى التشدد، أفرزها الفشل في عملية السلام، وما أفرزته من انتفاضة ثانية للشعب الفلسطيني، أو أن قضية الاستيطان لم تشكل أولوية بالنسبة إلى الناخب الإسرائيلي.

وقد نُفِّذ انسحاب إسرائيلي من قطاع غزة في العام 2005م، تضمن –وللمرة الأولى منذ عام 1967م– انسحاباً من الأراضي التي احتلت عام 1967م، في سابقة هي الأولى من نوعها بشأن نقل مستوطنين من الأراضي الفلسطينية المحتلة، الأمر الذي صاحبه

جدل سياسي واسع، ترك أثره على الخطاب الإسرائيلي بشأن الاستيطان، وترك أيضاً مدلولات اعتبرت اختراقاً لقضية (الإصرار على إبقاء التجمعات الاستيطانية تحت السيادة الإسرائيلية في أية حلول نهائية).

عام 2008م

حاول (أيهود أولمرت) -رئيس الحكومة في حينه- أن يتبنى خطاباً سياسياً متوازناً بشأن الاستيطان، يستطيع من خلاله امتصاص ضغوط اليمين الإسرائيلي، والتكيف مع المطالبات الدولية بشأن وقف الاستيطان بعد مؤتمر أنابولس، فأعلن عن تجميد بناء وحدات سكنية جديدة لفترة محدودة، إلا أن قدرته على الاحتفاظ بهذا الخطاب، أخذت تتراجع أمام ضغوط اليمين المتزايدة، فأعلن العودة إلى تفعيل النشاطات الاستيطانية في القدس، مسقطاً من حساباته المطالبات الدولية لصالح إرضاء اليمين الإسرائيلي.

كما أن باراك الذي كان يشارك في حكومة أولمرت بحقيبة الدفاع هو الآخر، حاول إرضاء المستوطنين آملاً في التخفيف من معارضة شريحة المستوطنين له في الانتخابات اللاحقة، وانطلاقاً من مفهوم (الاستيطان العشوائي) في الخطاب السياسي لحزب العمل، أعلن عن نيته إجراء مفاوضات للتوصل إلى حل مع المستوطنين، من أجل إزالة بعض البؤر، مقابل منح الشرعية للبؤر الأخرى، أي منح الشرعية لحوالي نصف البؤر الاستيطانية(33)

أثر موقف أوباما من الاستيطان، وأثر الانتخابات الإسرائيلية 2009م

من العوامل التي كان لها أثرها على الخطاب السياسي الإسرائيلي، وصول الرئيس الأمريكي باراك أوباما إلى الحكم، الذي حاول منذ بداية توليه السلطة أن يوجه خطاباً مغايراً لنهج الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش، بل مغايراً لتوجهات الرؤساء

السابقين للولايات المتحدة الأمريكية. وعلى الرغم من أنه لم يقدم جديداً عن سابقيه، بشأن الموقف الأمريكي الرسمي الرافض للاستيطان الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية المحتلة، فقد ذكر أوباما في خطابه بجامعة القاهرة: (إن الولايات المتحدة لا تقبل مشروعية استمرار المستوطنات الإسرائيلية، إن عمليات البناء هذه تنتهك الاتفاقات السابقة، وتقوض من الجهود المبذولة لعملية السلام، لقد آن الأوان لتتوقف هذه المستوطنات.(34)

وهذا ترك أثره في برامج الأحزاب الإسرائيلية التي كانت تستعد لخوض انتخابات الكنيست الثامنة عشرة، فيما يتعلق بالاستيطان، حيث إن بعض الأحزاب حافظت على موقفها السابق من الاستيطان؛ لتشعر الناخب الإسرائيلي أنها بالقوة لن تسمح للموقف الأمريكي بالتأثير عليها بهذا الشأن، كالأحزاب الدينية، وبعضها الآخر بدا أكثر تشدداً بشأن الاستيطان، في محاولة لإقناع الناخب الإسرائيلي بأنها ستسعى لخلق وقائع على الأرض، وتجبر الرئيس الأمريكي أوباما على إعادة قراءة موضوع الاستيطان من جديد، وقريب من الرؤية الإسرائيلية كحزب الليكود، فيما سعت أحزاب أخرى لتقديم رؤية تكتيكية تسمح بالمزاوجة بين الاستيطان والاحتفاظ بالعلاقة الإستراتيجية مع الولايات المتحدة، كحزب العمل، وحزب كاديما، وأحزاب أخرى كانت تعارض الاستيطان، كحركتي ميرتس وحداش، ونتج عن هذه الانتخابات فوز حزب الليكود بزعامة بنيامين نتنياهو، وتمكن من تشكيل الحكومة، بالتحالف مع الأحزاب الدينية وحزب العمل، فيما أصبح حزب كاديما في المعارضة، وتشير القراءة إلى هذا الائتلاف أنه سيكون هناك تأثير قوي لهذه الأحزاب في الخطاب السياسي للحكومة الإسرائيلية في مختلف القضايا، ومن ضمنها الاستيطان، وكانت هذه المرحلة تشهد ضغوطاً دولية بشأن وقف الاستيطان، ليس فقط من منطلق عدم شرعيتها، بل أيضاً من حيث تأثيرها

السلبي على المفاوضات وعملية السلام، حيث إن إصرار الفلسطينيين على أن توقف إسرائيل الاستيطان كشرط مسبق لاستئناف المفاوضات التي تعثرت منذ فترة، أدى إلى تزايد المساندة الدولية والمساندة الأمريكية، التي يحاول فيها أوباما أن يظهر توجهاً مختلفاً بإعادة ترتيب العلاقات مع الدول العربية والإسلامية، وقد أصر نتنياهو على تجاهله لهذا المطلب، متذرعاً بضرورة عدم وجود شروط مسبقة لاستئناف المفاوضات.

إلا أنه -وتحت وطأة الضغوطات-، اضطر نتنياهو إلى اتخاذ قرار بتجميد النشاط الاستيطاني في الضفة الغربية، ولمدة محدودة بعشرة أشهر، ورحب كلٌ من المبعوث الأمريكي جورج ميتشل، ووزيرة الخارجية الأمريكية بهذا القرار(35)، واستطاع بذلك الخطاب الإسرائيلي بشأن الاستيطان أن يحافظ على وتيرته السابقة، بلا تغيير جذري، وخاصة أن الموقف الأمريكي قد تراجع، وذلك بإعلان هيلاري كلينتون -وزيرة الخارجية الأمريكية- بأن وقف الاستيطان لا يجب أن يكون شرطاً لاستئناف المفاوضات، وأنه بالإمكان التفاوض حوله بعد استئناف المفاوضات، وأظهر هذا الموقف تناقضاً واضحاً للرئيس أوباما، بشأن تصريحاته السابقة بشأن الاستيطان، وقد ساعد هذا الأمر نتنياهو أن يسوق هذا الخطاب السياسي الإسرائيلي بشأن الاستيطان داخلياً ودولياً، فأظهر عدم وجود رغبة في مزيد من المستوطنات (ويقصد بذلك المستوطنات في الضفة الغربية)، ولكنه في ذات الوقت يعلن أن التوسع الاستيطاني لن يتوقف؛ لأنه حاجة طبيعية للمستوطنين، مستحدثاً مفهوماً جديداً إلى قاموس الخطاب السياسي بشأن الاستيطان، وهو مفهوم (النمو الطبيعي)، وأنه لن يشمل الاستيطان في القدس، مشككاً في (الجدوى من الانسحاب)، وذلك وفق ما جاء في خطابه في جامعة (بار ايلان)، والذي أراد من خلاله تبرير التوسع في المستوطنات القائمة في الضفة الغربية والقدس.

ولخص نتنياهو مسار الخطاب الإسرائيلي بشأن الاستيطان بقوله: (إن الاستيطان سيستمر كما استمر منذ 42 عاماً).

الهوامش

1. قهوجي، حبيب، (إستراتيجية الاستيطان الصهيوني في فلسطين المحتلة)، عكا، منشورات الطلائع، 1978م، ص 216 - 217.
2. سلمان، سلمان رشيد، إسرائيل والتسوية، بيروت: دار ابن خلدون، 1975م، ص 194.
3. قهوجي، جورج، مصدر سابق. ص 261.
4. بدوان، علي، (اخطبوط الاستيطان.. معضلة التسوية)، مجلة صامد، عدد 112، عمان، 1998م،ص 35.
5. غوانمة، نرمين يوسف، حزب الليكود ودوره في السياسة الإسرائيلية، عمان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2002م، ص85.
6. عناب، محمد رشيد، مصدر سابق. ص117 - 122.
7. غوانمة، نرمين يوسف، مصدر سابق. ص217.
8. خالد، محمود، مصدر سابق، ص 35.
9. أسعد، منى، (الاستيطان مقتل السلام)، مجلة صامد، العدد 126، عمان، 2001، ص249.
10. غوانمة، نرمين يوسف، مصدر سابق، ص189.
11. خالد، محمود، مصدر سابق، ص84.
12. محمد، عبد العليم، الانتخابات الإسرائيلية الرابعة عشرة ومستقبل التسوية، القاهرة، مركز البحوث والدراسات السياسية، 1996، ص108.
13. الحسيني، مصطفى، 1998، (الاسيتطان والقوى السياسية الإسرائيلية)، مجلة صامد، العدد 112، عمان. ص 15.
14. أسعد، منى، (المساعدات الاقتصادية الأمريكية لإسرائيل)، مجلة صامد، العدد 101، عمان، 1995م، ص58.
15. غوانمة، نرمين يوسف، مصدر سابق، ص114.
16. وردة، خليل، 1997، (مراحل الاستيطان الصهيوني في القدس) مجلة صامد، العدد 110، عمان. ص103.
17. أسعد، منى، مصدر سابق، ص249.

18. الحسيني، مصطفى، مصدر سابق، ص17.

19. وردة، خليل، مصدر سابق. ص103.

20. الحسيني، مصطفى، مصدر سابق. ص 19.

21. محمد، عبد العليم، مصدر سابق، ص184.

22. بركات، نظام، (ملاحظات حول نتائج الانتخابات الإسرائيلية الرابعة عشرة)، مجلة صامد، العدد 106، عمان، 1996، ص279.

23. محمد، عبد العليم، مصدر سابق، ص187.

24. محمد، عبد العليم، مصدر سابق، ص193.

25. مهدي، هند، (إستراتيجية الاستيطان في الحركة الصهيونية)، مجلة صامد، العدد 123، عمان، 2001، ص 370.

26. السهلي، نبيل محمود، مصدر سابق، ص 250.

27. وردة، خليل، مصدر سابق، ص106.

28. عليان، نور الدين، (رصد لردود الفعل حول قرار البناء في أبو غنيم)، مجلة صامد، العدد 110، عمان، 1997، ص178 - 181.

29. أسعد، منى، مصدر سابق، ص253.

30. أبو حليمة، جمانة، (الانتخابات الإسرائيلية وإعلان الدولة الفلسطينية)، مجلة صامد، العدد 117، عمان، 1999م، ص 279.

31. أسعد، منى، مصدر سابق، ص 255.

32. منشورات جامعة بير زيت، (قراءات أولية في نتائج الانتخابات الإسرائيلية للعام 2003م)، 2003م، ص14.

33. مجلة البيادر السياسي، العدد 945، 22 /3 /2008م، ص4.

34. (مقتطفات من كلمة للرئيس أوباما في جامعة القاهرة بشأن علاقة الولايات المتحدة بالعالم الإسلامي)، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 78، القدس، 2009م، ص 185.

35. روسيا اليوم، (2009م)، (ترحيب أمريكي ورفض فلسطيني لقرار الحكومة الإسرائيلية بتجميد الاستيطان مؤقتاً). 25 /11 /2008م، الموقع الإلكتروني: www.rtarabic.com .

عبرة كبيرة لشعوب العرب وقادتها

أ.عودة عريقات

ما جرى ويجري في ساحة الوطن العربي من ثورات شعبية، سالت فيها الدماء، وهي أحداث متوقعة مؤجلة؛ بسبب الكبت المتواصل، الناتج عن الظلم والحرمان والاضطهاد، الذي يغلي في صدور أبناء الشعب، بسبب طغيان قسم من القادة العرب وغيهم، وجشعهم، وضلالهم، واستبدادهم، وهذا أمر يدعو لدراسة الحالة من الشعوب العربية كافة، خاصة من قادتها؛ للسير في طريق الإصلاح، وتصويب المسيرة لمصلحة الشعب والوطن، وتجنب عواقب غير محمودة مستقبلاً لهم، يقولون: العناد كفر، والاستمرار في الغي والطغيان هلاك محقق لا محالة، لذا؛ فالردع واجب بالتذكير أولاً بالقول المباشر من المقربين، وبكل الوسائل الإعلامية الموصلة لذوي الشأن من القادة الذين تجاوزوا الخطوط والحدود المقبولة في علاقاتهم مع شعوبهم، بعد أن شيعوا الديمقراطية منذ زمن إلى مثواها الأخير، لأن السلطة والهيلمان وإغراء الكرسي إن طال الجلوس عليه، ينسي القائد الالتفات لحاجات الشعب المتغيرة والمتجددة مع كل شروق شمس وغروبها، وإذا

لم يجد القائد الردع الذاتي واللازم لتصحيح مساره، فهنا يقع واجب كبير على رؤساء الأحزاب وأعضاء البرلمان وقادة الجيش وكبار المسئولين خاصة المستشارين حول القائد، انطلاقاً من مصلحة الشعب التي يفترض أن تكون لها الأولوية وفقاً لولائهم للشعب والوطن، ومن منطلق أن المستشار مؤتمن لتصحيح الخطأ والاعوجاج وتصويبهما؛ لأن دور المستشار في الأصل نصح القائد لكي يتخذ الخطوات الصحيحة والآمنة في تسيير إدارة الحكم، وإن استمر الخطأ في المسيرة، فإن الشعب بالمرصاد، سيطالب بتغيير السياسة المتبعة، وتصحيح المسيرة، أو المطالبة بتقديم الانتخابات والتغيير بالطرق القانونية والسلمية، وللأحزاب دور كبير عليها القيام به في هذا المطلب، لما فيه مصلحة الشعب وتقدمه ورفاهيته، وعزة الوطن، والأحداث التي جرت لدول عربية شقيقة في شمال إفريقيا، وما يجري من احتجاجات شعبية في الخليج العربي، ويجري أيضاً في اليمن السعيد، وأيضاً هناك مناطق أخرى ما زال البركان يشتعل متحفزاً تحت رمالها، ينتظر شرارة الانفجار، فهذه أحداث مهمة، ومنعطف في تاريخ شعوب المنطقة العربية، يجب أن تحدث تغييراً جذرياً في الثقافة السائدة بخصوص العلاقة بين الشعب والحاكم في رؤية الشعب والحاكم، ولتكن تجربة تاريخية على الشعوب استيعابها، واستخلاص العبر منها، فالعاطفة الجارفة غير المحددة بشقيها الإيجابي والسلبي، التي اعتادت الشعوب التعبير عنها في مناسبات الحب والولاء للزعيم، التي تصل إلى حد العبادة، وفي مشاعر الكراهية للغير، التي تصل إلى حد الثمالة، فلماذا لا تتخذ الشعوب الوسطية بعواطفها كنهج،

وفكر، وإعطاء العقل دور لتحكيم المنطق السليم في العلاقة والمشاعر، فالحماس الزائد عن حده للزعيم ينقلب إلى ضد، كما ورد في كتاب الهدى والفرقان {فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ}(الزخرف:54)، وورد أيضاً {هَـذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ}(آل عمران: 138). فاتعظوا يا أولي الألباب، فليتعظ الزعماء، ولتتعظ الشعوب من المحن والدروس المختلفة والقاسية التي تمر بها الأمة، لذلك؛ لماذا نحيط الزعيم بهالة التقديس؟ مع العلم أنه إنسان مثلنا، ليس فيه صفات السوبر مان غير الاعتيادية، فهو يمارس حياته ويعبر عن مشاعره مثلنا، ويصيبه المرض مثلنا، فهو ليس له فضل على الشعب، بل الشعب له فضل كبير عليه، حيث رضي به زعيماً، فلننظر إلى الشعوب الغربية وعلاقاتها بقادتها فهي طبيعية، وليست مميزة بسبب موقعهم، بل إن موقعهم يزيدهم مسؤولية واستعداداً للمحاسبة من قبل شعوبهم، فهم يعشقون ممثلاً أو مطرباً، ويعطونه اهتماماً أكثر بكثير من قادتهم، لأنه رغم التهليل للزعيم العربي والتكبير والهتاف والغناء له عشرات السنين، إلا أنه ربما تأتي لحظة بعد زمن، يحارب فيها الزعيم طموحات شعبه، ويقمعه بالقوة، ويفضل مصلحته على المصلحة العامة للشعب والوطن، مثلما يحدث في بعض الدول العربية الآن، وهذا الأمر يجب أن يكون عبرة للشعوب كافة، فبعد حكم دام مدة طويلة، طال ثلاثة أجيال، وبمرأى من العالم كافة يقتل شعبه، ويعذبهم بشتى الوسائل الحربية التي بحوزة الدولة، والتي وجدت أصلاً من أجل الدفاع عن الشعب والوطن، ونعت بعض الزعماء شعوبهم أيضاً بأدنى الأوصاف، لأنهم يريدون خلعه،

ويريدون التغيير والتجديد والإصلاح، وتحقيق العدالة والمساواة من خلال القانون، وتوزيع ثروة البلاد، لما فيه خير وطنهم، فحياة أفراد الشعب قصيرة لا تتحمل أن يرقد أي زعيم على كرسيه سنوات طويلة؛ حتى يتضاعف عدد أفراد الشعب في ظل سلطته وهيلمانه ومفسدته، فالتغيير يجب أن يكون من سمات الشعوب المتحضرة والناضجة، ولا تسمح بتأليه أي زعيم مهما كانت مواصفاته الإيجابية، ويجب تحديد سن معينة في دستور كل دولة لشيخوخة الزعماء، وعليهم ألاّ يتجاوزوه وهم بالسلطة؛ لإعطاء الفرصة لكفاءات عدة في المجتمع، عندها الجاهزية والمواصفات اللازمة للقيادة، ويجب تفصيل الدستور لمصلحة الشعب عامة، بكل أركانه وفئاته وأحزابه وتطلعاته، ويجب على الشعب أن لا يسمح بتفصيل الدستور على مقاس زعيم معين، أو حزب معين، من أجل تقدم الشعب والوطن ورفعتهما، ومن جهة أخرى، فإن نرجسية الحاكم المفرطة تعني ظلماً للشعب واضطهاداً، وتأخراً عن ركب الحضارة والتقدم، فليكن لنا جميعاً عبرة مما جرى ويجري لشعوب المنطقة العربية، وعلى القادة كافة أن يتعظوا مما جرى لبعض القادة والزعماء، حيث انمحى تاريخهم وعزهم بلحظة غضب من قبل الشعب، فعليهم الاجتهاد، واتباع شتى الوسائل لإرضاء شعوبهم، وإذا وصلوا إلى طريق مسدود عليهم التنحي، وفتح المجال، وإعطاء الفرصة لغيرهم من أبناء الشعب؛ لخدمة الوطن والشعب، لذلك أضحى مطلوباً من الشعوب تغيير الثقافة السائدة في العلاقة بين الزعيم الحاكم والشعب، وعليهم أن يكرسوا مفهوم تداول السلطة السلمي، وإلغاء احتكار الحزب

الحاكم للسلطة، بل تكريس دولة القانون للجميع، وفقاً للعدالة والشفافية، وبعيداً عن التزوير، وإرساء مفهوم عدم إغماض العين عن أي خطأ؛ لأن الخطأ الواحد يجلب أخطاء، ويجلب الكوارث خلال مرور السنوات، والشعوب تعلم أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، والقادة يعرفون أن الناس أحرار، وليسوا عبيداً، لذلك يجب تغيير المفاهيم القديمة كافة في العلاقة بين القادة والشعوب، فالشعب ينتخب الزعماء لقيادة المسيرة الوطنية لخدمة الوطن، وخدمة الشعب، فلا تقديس للقائد، ولا تأليه لزعيم، بل علاقة مبنية على الاحترام المتبادل، لما فيه خير الشعب والوطن ومصلحتهما، ولما سبق فإن على الشعوب إن أرادت العزة والتقدم والازدهار، تغيير الثقافة والمفاهيم السائدة، ذلك بهمة الشباب والأجيال الجديدة، بعد أن أصبح العالم قرية صغيرة، فالمعلومات بمتناول الغالبية، والأحداث في كل مكان يعرفها الجميع، ولم يعد بمقدور أحد أن يخفي خداعه وتدليسه زمناً طويلاً مهما لبس من أقنعة ملونة، لأن هناك شعباً له بالمرصاد، والمحن مرآة الشعوب.

والقائد الذي يستند في حكمه إلى وقوف الشعب خلفه وتأييده، لأنه يعبر عن طموحات الشعب وآماله، أقوى بكثير من غيره، ويبقى معززاً مكرماً، وأفضل من القائد الذي يعتمد على جبروته، وبطش زبانيته، وولائه لغير شعبه، لأنه يبقى في مهب الريح في أي لحظة، معرضاً للإقصاء والرحيل.

قضايا سياسية

الوسطية وأخواتها
محاولة للتدبر والنهوض

الشيخ: حسين محمد عمر / مفتي محافظة طوباس

الإسلام دين الوسطية والاعتدال، ماذا نريد من هذا المصطلح؟ وإلى من نتوجه به؟

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وبعد؛

فقال تعالى: {الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمـنِ الرَّحِيمَ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهدِنَـــا الصِّرَاطَ الْمُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ} (1).

وقال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً} (2).

الوسطية والاعتدال من خصائص الإسلام العامة، والمعالم الأساسية التي ميز الله بها أمته عن غيرها، فهي أمة العدل والاعتدال، التي تشهد في الدنيا والآخرة على كل انحراف يميناً أو شمالاً عن الخط المستقيم والصراط القويم(3).

وقد بيّن سبحانه وتعالى أن هذه الأمة ستقود قافلة البشرية إلى بر الأمان، وهي تحمل مشعل النور والخير والعدل والإحسان.

قال تعالى: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ} (4).

ثم حذر سبحانه وتعالى الأمة الإسلامية وغيرها من الأمم أن تنحرف عن هذا المسار، وتجنح إلى التطرف، والظلم والاستبداد؛ لأن هذا سيودي بها وبغيرها.

قال تعالى: {وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ}(5)، وفي الحديث الذي يرويه ابن مسعود، رضي الله عنه، قَالَ: (خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَطًّا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ مُسْتَقِيماً، قَالَ: ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ السُّبُلُ، وَلَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ، يَدْعُو إِلَيْهِ، ثُمَّ قَرَأَ: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ}) (6).

الوسطية في اللغة والاصطلاح

الوسطية لغة: تعني المعتدل من كل شيء، والجيد من كل شيء، وتأتي بمعنى الشرف والحسب والخيرية (7)

الوسطية في الاصطلاح: وضع الأمر في مكانه الصحيح، بحيث لا يحيف أمر على آخر، ولا يطغى عليه أو يأخذ مكانه.

وتـأتي أيضاً بمعنى العدل والتوازن والتوسط بين الإفراط والتفريط والاستقامة (8).

لقد جاء الإسلام ليعيد بوصلة الحياة إلى مسارها الصحيح، بعد أن انحرفت طوائف من أهل الكتاب عن الصراط المستقيم، وجنحت نحو المادية، والحرص على الحياة، وجمع المال بكل وسيلة من خلال الربا والسحت، ثم أغرقت في الشهوات، وسقطت عنها قشرة التدين، وأطاحت بكل من وقف في وجه ماديتها من الأنبياء والمصلحين أو حاولت الإطاحة بهم.

وجاء الإسلام بعد أن انحرفت طوائف أخرى، وغالت في شأن الروح، وهمشت الجسد

وحاجاته، وظنت أن التقوى تتمثل في الرهبانية، واحتقار المادة، وترك الدنيا وشأنها، والانقطاع للعبادة والتبتل.

جاء الإسلام ليقوّم هذا الاعوجاج في سلوك الإنسان وفكره، رافضاً لهذه البدع والانحرافات التي جنحت نحو الإفراط أو التفريط، فأنّى للإنسان أن يعيش لحاجات الجسد والطين، ويهمل الروح وأشواقها؟

وأنى له أن يعيش للروح وأشواقها ويهمل الجسد وحاجاته وغرائزه؟

قال تعالى: {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ*فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} (9).

لقد عجز الإنسان المخلوق أن يوجد نظاماً يقوم على التوازن والاعتدال، عجز الفيلسوف وعجز الأمي؛ لأن العقل البشري لا يمكن له أن يحيط بكل شيء من حوله، الإنسان والكون والحياة، الماضي والحاضر والمستقبل، العالم المشهود والعالم الغيبي، وقد ثبت أن هذا ليس بمقدور المخلوق الضعيف، إن الذي يقدر على ذلك هو الخالق وحده، قال تعالى: {الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى} (10).

هو وحده سبحانه الذي أوجد نظاماً وسطاً صالحاً لكل شيء، متوازناً ومتناغماً مع الإنسان والكون والحياة، لا إفراط فيه ولا تفريط، ولا غلو ولا تهاون.

إنه الدين الذي جاء به الأنبياء من آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، واسطة العقد وخاتم النبيين، لقد بشر الأنبياء، عليهم السلام، بهذا النبي الخاتم، الذي يرفع عن ظهر الإنسان سوط الظلم والاستبداد، وذلك برسالة سماوية تحقق سعادة الإنسان في المعاش والمعاد.

قال تعالى: {وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ} (11).

نعم؛ جاء الإسلام تتويجاً لجهود الأنبياء والمرسلين، رحمة للعالمين، دين الله الخالق الذي {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ}(12).

لك أن تسميه وسطياً، إنسانياً، متسامحاً، معتدلاً، متوازناً... إلخ، فلا بأس عليك (ولا مشاحة في الاصطلاح)، لكن؛ ألا يحق لنا أن نتساءل لماذا نعرض الإسلام في هذه الأيام العجاف على أنه دين الوسطية والاعتدال والتسامح، وهو بريء من التطرف والغلو والإرهاب؟ نحن نخاطب مَن؟ نريد أن نقنع مَن؟

إن من يتحدث اليوم عن الإسلام بأنه دين الوسطية والاعتدال والتوازن، كمن يستدل على الشمس في رابعة النهار، أو القمر في الليالي البيض، أو كمن يفسر الماء بعد الجهد بالماء، فهو لم يجترح المعجزات، ولم يكتشف الحجم الحرج.

إن الذي ينعت الإسلام اليوم بالغلو والتطرف والإرهاب؛ إما جاهل بطبيعة هذا الدين الرباني العظيم، قد ألغى عقله، وأصبح يقول ما قيل له كما تقول الببغاء. وإما حاقد معادٍ للإسلام والمسلمين، قد قال ما قال عن سبق إصرار وترصد، ولو ادّعى الموضوعية والحياد.

الصنف الأول: مشكلته سهلة فهو دائماً مع القوي المنتصر الغالب الذي يحقق مصالحه ويشبع غرائزه، مبهور بقوته، يلهث خلف هباته وفتاته، فهذا إمعة لا شأن لنا به.

الصنف الثاني: الذي نخاطبه اليوم، ونريد أن نقنعه بميزات الإسلام، وأنه بريء من التطرف والإرهاب، هو الغرب وأخواته، الغرب المنتصر، القوي، المهيمن، المنتج،

المسيطر، لكن أي غرب هذا الذي نريد أن نقنعه؟

* هل هو رجل الدين الغربي الذي لا يعترف بالإسلام كدين سماوي، ويتهم الإسلام بالجهل وعدم العقلانية؟

* أم البرلماني الغربي الذي منع بناء المآذن، وحظر النقاب، ويستخف بكل الشعائر الإسلامية؟

* أم السياسي الذي يربت على كتف إسرائيل بعد كل مذبحة ويعتبرها طفلته المدللة؟

* أم المفكر الذي عصر فكره، فلم يخرج منه إلا صراع الحضارات، ونهاية التاريخ؟

* أم السيد الأمريكي السابق الذي أعلنها حرباً صليبية، واستباح البلاد والعباد تحت ذرائع ثبت زيفها؟

* أم نريد أن نقنع السيد الذي جاء إلينا وخطب في عواصمنا خطباً عصماء، وأرانا من طرف اللسان حلاوة؟

قد يقول قائل:

إن في الغرب هذا وأخواته من يقف معنا، ويخرج في مظاهرات لدعم قضايانا وحقوقنا، فهل تريد لنا أن نخسره ونخسر الرأي العام؟

أنا أعتقد أننا ما زلنا نرتكب الأخطاء نفسها، ونفكر بالعقلية ذاتها؟

إن خرافة الرأي العام التي صنعها الغرب، وباعها لنا، ما زالت سلعة رائجة، تؤتي ثمارها في بلادنا.

يبدو أن المرحوم الجابري كان معه حق عندما تحدث عن العقل العربي المستقيل في سلسلته (نقد العقل العربي)(13)، فنحن ما زلنا ننتظر من غيرنا أن يحل مشاكلنا،

ويقوم بواجباتنا، ويحقق أهدافنا وأمانينا، ونحن نغط في جهل عميق طال عليه الأمد.

ما زلنا ننتظر ودون أن نحرك ساكناً أن يخرج من السرداب من يفتي في قضايانا المعلقة، ويحل مشكلاتنا الشائكة!

ما زلنا ننتظر أن يخرج المهدي، وأن ينزل المسيح، عليه السلام، وينطق الشجر والحجر، هكذا ودون مقدمات من يقظة أو حركة أو عمل!

وكأننا لا ندري أن سنة التغيير تبدأ من إرادة الإنسان أولاً! {إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ}(14).

إن ما يوصف به الإسلام اليوم من قبل أعدائه بالإرهاب والتطرف، وما شابهها من نعوت ومصطلحات هدفها تشويه صورته، وتنفير الناس منه حتى لا تقوم له قائمة، لكي يخلو لهم الجو فيبيضوا ويصفروا على هواهم، وما كان لهذا الأمر أن يحصل لولا تخلف المسلمين وضعفهم، وهزيمتهم في المجالات والميادين كلها.

إن إرادة القوي المنتصر، تفرض على الضعيف المهزوم المصطلحات التي يريدها، والأفكار التي يقررها.

إن هذه المصطلحات لم تكن معروفة أو متداولة، ولم تطل برأسها أيام عافية المسلمين، وإنما برزت حين بدأ الضعف والتخلف ينهش الجسد الإسلامي من كل حدب وصوب، حتى أصبح هذا الجسد نهباً لكل طامع، وكلأً مباحاً لِمن هب ودب.

إنهم يطلقون المصطلح الذي يريدون، ونحن نستقبل، لأنهم في دائرة الفعل؛ فمنّا من يقبل هذا المصطلح المشبوه، ويردده، ويروجه، ويدعو له؛ لأنه جاء من السيد المنتصر الذي يمنح ويمنع، ومنّا من يغض الطرف عنه، ويتعاطى معه كأنه قدر مقدور لا قبل له بمواجهته.

ومنّا من يقف موقف المدافع الضعيف عن قضية خسرها سلفاً؛ لأنه مسلوب الإرادة والإمكانات.

والحق الأبلج الذي لا مراء فيه أن هذه التهم -من الغلو والتطرف، والتي يراد لها أن تلتصق بالإسلام زوراً وبهتاناً- باطلة من أساسها، متهافتة أمام نصاعة الإسلام وبيانه وتاريخه العملي.

إن هذه السهام توجه اليوم لحرب الإسلام؛ إسلام الفكر والنظام، ومنهج حياة الإسلام الذي يقاوم المحتل، ويقف في وجه أطماعه.

يجب علينا أن لا نضع الإسلام في دائرة الدفاع أبداً؛ لأن الإسلام أعلى وأجل من أن يكون في قفص الاتهام أو دائرة الشبهات.

إن الله عز وجل يقول: {وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا} (15).

فكيف تكون كلمة الذين كفروا قوية فاعلة متحركة في موقع الهجوم، وتكون كلمة المسلمين ضعيفة ملاحقة متخفية، خجلى في موقف الدفاع؟

إن الحديث عن وسطية الإسلام وإنسانيته ورحمته، وعدله، جيد، ونحن في مرحلة العافية نقدمه للآخرين من خلال القدوة، بالحكمة والموعظة الحسنة، ونحن مستقلون سياسياً واقتصادياً وفكرياً، مبدعون في البحث العلمي والصناعة والزراعة والإنتاج، يدنا هي العليا، نعطي ولا نأخذ، ونقف إلى جانب الفقراء والمستضعفين والمرضى، ولا نتخفى خلف البعثات الطبية والمساعدات الإنسانية؛ لنشر التبشير بطرق ملتوية!

حين نصبح كذلك سيستمع العالم لنا بقلوب وعيون مفتوحة، أما ونحن في موقع المتسول العالة الذي يعيش على فتات الآخرين؛ فتات سلاحه وقمحه وإنتاجه، فمن

سيلتفت إلينا، ومن سيصغي لنا؟

كيف سيصغي لنا هذا الغرب وهو ينظر إلينا نظرة دونية طافحة بالسخرية والازدراء؟!

اليوم تؤسس أحزاب ومواقع وفضائيات وبرامج وأبحاث وكتب ورسائل جامعية تحت عنوان الوسطية والاعتدال!

من أجل من؟ ولماذا؟

هل العيب في هذا الدين، في نظمه وأفكاره ومبادئه؟

أم العيب فينا؛ فيمن تخلف وجبن وضعف واستكان؟

هل سيرضى الغرب عنا حين نثبت له بما لا يدع مجالاً للشك، بأن الدين الإسلامي ليس ديناً إرهابياً ولا متطرفاً، بل هو {دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً}(16).

يقبل بالآخر الغربي والمسيحي، واليهودي والبوذي والسنسكريتي... إلخ، ويعترف بهذا الآخر ويدعو لاحترامه، ويقر بأخوته الإنسانية؟

هل الإسلام بحاجة إلى كل عمليات التجميل هذه حتى نستطيع عرضه للناس؟

وهل هو قبيح ومشوه حتى نجمله في عيون الآخرين ليرضوا عنه وعنّا؟

هب بعد هذه الجهود؛ من تجميل وأبحاث وبرامج وفضائيات وكتب ورسائل ومواقع عن وسطية الإسلام وعدالته، هب أننا معشر المسلمين والعرب، خرجنا إلى الشوارع في مسيرات حاشدة في العواصم والمدن والقرى كلها (من غانا إلى فرغانة)، (ومن المحيط إلى الخليج)! الصغير والكبير، الذكر والأنثى، خرجنا ونحن نهتف بأعلى أصواتنا لا للإرهاب ولا للتطرف، نعم للوسطية والاعتدال وقبول الآخر، وأقمار الغرب الصناعية كلها، تنقل الحدث في بث حي ومباشر أن أمة العرب والإسلام أعلنت نبذها للإرهاب،

وعادت إلى جادة الصواب، فهل سيرضى عنّا الغرب ومشروعه الصهيوني وأخواته؟

وهل سيدع الحرب على الإرهاب لأن موقفنا قد اتضح؟

وهل سيرحل هذا الغرب ومشروعه الصهيوني عن صدر فلسطين والعراق والخليج وأفغانستان ومصر والسودان... إلخ؟

أم أن وراء الأكمة ما وراءها؟

إن حالنا اليوم كما لو أن نعجة افترس الذئب صغارها، وشتت شملها، ثم تحاملت على جراحها، وذهبت تراجع الذئب لتعقد معه اتفاقاً لعله يحافظ على ما تبقى من أسرتها، فهل سيحقق رغبتها، ويكف عنها وعن صغارها؟

أم هي استراحة المفترس الذي امتلأت معدته، فما هي إلا أن يهضم ما فيها، ثم يستيقظ فيه الطبع المتوحش والغرائز القاتلة؟

أنا أدرك أن التعميم، وإطلاق الأحكام العامة ليس دقيقاً، ففي الغرب وغيره من يصغي إلى الحق، ويحكّم عقله، ويدور مع الدليل والبرهان حيث دار، ويبتعد عن التعصب الأعمى والأحكام المسبقة، ويتعامل مع الآخرين بموضوعية وواقعية، لكن أنّى للضعيف أن يوصل صوته إلى هؤلاء، وقد حالت بينهم وبين الحق حجب كثيفة من التشويه والشبهات والتحريف.

وأخيراً

نحن لسنا بحاجة إلى كلمة حق قد يراد بها باطل، تتسول الشفقة والرحمة والإنصاف من الآخرين، بل إننا بأمس الحاجة إلى النهوض من هذا السبات الذي طال عليه الأمد (لنعيد فرحة الخصب لدنيانا الجديبة) (17).

الهوامش

1. سورة الفاتحة.
2. البقرة: 143.
3. الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف، د. يوسف القرضاوي، ص 24.
4. آل عمران: 110.
5. الأنعام: 153.
6. مسند أحمد، كتاب مسند المكثرين من الصحابة، باب مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وحسنه شعيب الأرناؤوط.
7. المعجم الوسيط.
8. مدخل لمعرفة الإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص24.
9. ص: 71 – 72.
10. الأعلى: 2 – 3.
11. الأعراف: 157.
12. فصلت: 42.
13. نقد العقل العربي، د. محمد عابد الجابري.
14. الرعد: 11.
15. التوبة: 40.
16. الأنعام: 161.
17. فدوى طوقان، من قصيدة (صلاة إلى العام الجديد).

شعر هادف

القدس والأقصى المبارك والصخرة المشرفة في شعر الرحالة الصوفي مصطفى البكري الصديقي (ت1172هـ)

الشيخ عمار توفيق أحمد بدوي/ مفتي محافظة طولكرم

كانت القدس أحلاماً، ورؤى تداعب خيال الصديقي، ويمر طيفُها الرائع عليه في منامه؛ فيسكن بين جفنيه، ويحول بينه وبين الكَرى، وكلما غاب ذلك الطيف؛ أرخى سدولَه الموشاة بِلَون القدس الزاهي، وعطرها الفوّاح؛ يضمِّخ خافقه الملتاع، وقلبه المشتاق؛ فاستيقظ محبُّ القدس ذات ليلة عطرية بأريج القدس يعبق؛ فغرّدت شفتاه تغريدة البكور المعطّر:

نحن أهــلَ القدسِ والمقــامِ الأقدسِ
مجلسُ القُرْب يقيناً في المعالي مجلسي

هذا الشيخ الصوفي المحبّ؛ هو الأستاذ العارف بالله مصطفى البكري الصديقي (ت1172هـ)، من علماء القرن الثاني عشر، وهو شيخُ قطبٌ من أقطاب الصوفية، ومرجعية كبرى في الطريقة الخلوتية. وهو كسائر العلماء لا يتمّ العالم سلسلة أسانيده الروحية، والعلمية، ولا يكتمل بدرُ تألّقه؛ ما لم تحطّ ركائبه في باحات القدس، وتكتحل عيناه برؤية المسجد الأقصى المبارك.

رحل الشيخ الصديقي إلى القدس، وشدّ الرحال إلى المسجد الأقصى المبارك عام

(1122هـ)، وهي أول رحلة له للقدس؛ إذ أعقبها بزيارات أخرى. وقد أرّخ الصديقي رحلته في رسالة أطلق عليها اسم (الخمرة المحسية في الرحلة القدسية)(1)، وقد قمت بتحقيقها، وهي في طريقها إلى النشر إن شاء الله.

لقد وجدت في هذه الرحلة عناصر كثيرة جديرة بالدراسة أودعتها في دراستي عنها، والتقطت عنصراً رائقاً هنا؛ يتعلق بموقع القدس، والمسجد الأقصى في شعر الصديقي بهذه الرحلة بالذات. مع أنّ قلم الصديقي خطّ كلمات مضيئة نيّرة منثورة عن القدس؛ بَيدَ أني اخترت دراسة الشعر؛ لمحبتي له، ولجميل قصائده فيه.

بداية الحنين للقدس، وهي تتراءى له في مخايله:

لا تغيب القدس عن قلوب محبّيها، ولا يسلو الحبيبُ حبيبَه، ولتجّذّر هذه المحبة في قلبه؛ نهضت له مرائي في لَيلِه المُدلَهِمّ، وسباتِه العميق؛ فرددت شفتاه بيتين في الرؤى، وأتمها أبياتاً في ساعة اليقظة، قال(2):

نحن أهـــلَ القدسِ والمقـــامِ الأقدسِ
مجلسُ القُـرْب يقيناً في المعـــالي مجلسي
وثياب النور في الحا ن أراهـــا ملبسي
أنـــا في حضرة حقٍّ لابس للأطلس(3)
أنـا خَمّارُ حِماها أملي فيـــها أكؤسي(4)
أنـــا وافٍ بذمامي وســـوايَ قد نسي
أنـا حامي من أتاني برمـــــاحٍ وقسي
أنـــــا هادٍ ندمائي للمقـــام الأنفس

هـــذه الخمرة فاشرب واحتسي أن تحتسي

كـــل مَن تجلى عليه يغدو مثلَ الأخرس

والـــذي يعطى نداها لم يكـــن بالمفلس

قل لـــراج لن تنلها إلا بشقّ الأنفـس

لقد سَقَتْ القدسُ الصديقيَّ من كأس خمرتها؛ فهام في حبها، وانطوى العالم أمام عينيه، فلئن كان غيره نسي، فهو وافٍ وفيّ لها، ولحبّها المتغلغل في قلبه، وروحه، وهو لا يكلّ من الشرب من كأس حبها، فيردد: (هذه الخمرة فاشرب واحتسي أن تحتسي). وجدنا الصديقي ثملاً في حان الحبّ الشفاف، قبل أن تعانق روحه مآذن القدس، وقبابها الشماء، ومحاريبها الخاشعة.

الانبهار بأنوار المسجد الأقصى

تراءت للصديقي أنوار القدس من بعيد، وقد وصل أطرافها، قال: (ومنذ شهدت ذلك المشهد الزاهر الذي هو للعقول سلاّبٌ، وباهر؛ أنشدت في ذلك بحول طول العلي المالك، مفصحاً عن بعض ما لقينا عند القدوم على هاتيك المسالك:

إلى القدس الفيحا وردنا وإنّ ذا مناقبه جلّت عن الحـــصر والعَدِّ

وحرَّكنا قـــــرباً نسيمُ عبيره علا وتسامى خالصَ المسك والنِّد

ولاحت لنا أعلامه فـــاستهزّنا غـــرامٌ بنا نـــــامٍ يجلُّ عن الحدِّ

ووافت لنا ســـــادُاته ورجاله وأبـــطاله طـافت علينا بلا جحدِ

وقد أقبلت ركبانه ورجـــــاله تؤمّ لتأهـــيل وتسعى من الوجد

وفي الوقت إذ لاحت حقيقته لنا ببشرٍ وأفـــراحٍ وبسطٍ هنا يجدي

إلى العين قلنا أيها العين أبشري وقِرّي بما نلتيه من مشهد السّعد (5)

فالقدس الفيحاء في شعر الصديقي؛ مناقب بلا حصر، وفضائل بلا عدّ. وسرعان ما حرّكت نسائمها الرخيّة روائح المسك، والندِّ، والعنبر، وخفق لها قلبُه، واهتزت مشاعره، يحركها غرامٌ عتيق تجاوز الحدّ، وفاض على الجوانح، والحنايا. وظهرت حقيقة ذلك الحبّ بِبِشْرٍ، وأفراح، وبسط، وانشراح. فخاطبت العينُ العينَ، عينُ الفؤاد عينَ الحبيب، وعينُ المحبّ عين المحبوبة القدس:

إلى العين قلنا أيها العين أبشري وقِرّي بما نلتيه من مشهد السّعد

شعره بمنطقة الشيخ جراح، ووصفها

قال الصديقي: (ولما قربنا من الشيخ جراح(6) وهبّ علينا من شذاه المنعش الأرواح، ما يفوق عبيره الراح، والعنبر، والنِّدّ إذا فاح، وأنشدت في الحال، وقد تذكرت وراد ذلك الحال:

سلكنا فجاجاً نبتغي القدس علّنا يطهرنا التقديس بالوابل القدسي

وطـــافت علينا خمــرة معنـــوية بهـــا غدونـا مطلقين من الحبس

وما زال جـــراح اشتياقي يزيدني على الجرح ...(7) يستسل به نفسي)(8)

فما زالت خمرة الحبّ تدير كؤوسها، ولا يبارح الصديقيّ حانها، وكلما شرب كأساً منها؛ زاد اشتياقه، وولعه بالغالية، عسى أن تطهر بتقديسها الطاهر المطهر؛ بوابل قدسي مغمور بالنور.

قصيدة رائعة في المسجد الأقصى المبارك

تعاقبت زيارات الصديقي للمسجد الأقصى المبارك، وقبة الصخرة المشرفة، وشغفه حبهما، واستقر في سويداء فؤاده؛ فأنشد رائعة من روائع الشعر الذي قيل بالمسجد المبارك؛

فاستوحى من المكان البهيّ فرائد الشعر الراقي، قال: (وكنت في غالب الأحيان أجلس في أحد شبابيك الأقصى العتيقة المطلة على جبل المكبر(9)، وحديقة الخاتونية(10)، وأنعم بها من حديقة. وأصحب معي الدواة والقلم، وأكتب للتسلي ما يجري به منزل نون والقلم. فمما رسمته في تلك المحال في وصف المسجد، الذي تشد إليه الرحال؛ مخاطباً حقيقته، ومنادماً دقيقته:

يـــا مسجد خير البرية أحمد ليلاً من الحرم الشريف أتاكا
كـن شافعاً لفتىً أتى بتذلُّلٍ متغرِّباً عن أهله لـــــيراكا
أنت الذي قد كنت قِبلة آدم والأنبياء توجهـــــوا لحماكا
لـــــــولاك ما وافى لقدس زائر ترك الديار مجرداً لـــــولاكا
أنت الذي حسدتك سكان السما والعرش والكرسيّ قد هنّاكا
من حـــلَّ فيك تقدّست روح له من نور طه بعـــد ما وافاكا
فلك الهنـــا بالمصطفى نلت المُنا لما دنا وبه المنـــــــا أدناكا
ويحق للـــــــزوار أن يمشوا على الأجفـــــان فيك محبة بثراكا
وإذا لهم جـــــــاد الزمان بزورة بعد الجفا سمحوا بذا عن ذاكا
يا مسجد المـهدي وعيسى والذي من بعده كن راحماً مغناكـــا
ولمصطفى البكري فاشفع باللقـا فلقد أتاك مرجياً حسناكـــا
فعسى ضـــــــواحيه تريه جمالها مستنشقاً طيب الشذا بنداكا
حياك من أعـــــطاك أرفع رتبة علوية من غيرها أقصـــاكا
ما لـــــذّ بَعد المسجدين لمقلتي ولفكرتي ولمهجتي إلاّكـــا
زاد الإلـــــه ضياء ذاتك بهجة ترضى بها وحَبا الأنام رضاكا (11)

بتلك الأبيات الرائعات خاطب الصديقيُّ المسجدَ الأقصى، فهو الشفيع لذلك المتغرب الذي شدّ الرحال عَبْرَ الفيافي، والقفار، والجبال، والتلال، غامر عبر طرق خنق قطاع الطريق مراصدها، فهو يتعثر بين السّلب، والقتل. ولكنه الحبّ، والحنين الذي فاق تلك المخاطر. يطلب الصديقي شفاعة المسجد، ويقدم بين يديه تمجيداً، وتعظيماً للمسجد الذي باركه الله تعالى، مجّده بمخاطبته أنه قبلة آدم عليه السلام، والأنبياء من بعده، وهو مسجد المصطفى ﷺ، فقد أتاه ليلاً من خير البقاع في مكة، وهو مسجد المهدي، وعيسى عليهما السلام، وهنأه بأنه نال أعلى رتبة. وبلغ التمجيد بالأقصى مبلغاً حين قال:

أنت الذي حسدتك سكان السما والعرش والكرسيّ قد هنّاكا

كما بلغ الحب بالمسجد ذروته، وهو يقول فيه قول المحبين:

ويحق للزوار أن يمشوا على الأجفان فيك محبة بثراكا

سلب جمال المسجد لبّ الصديقي، ورسخ جماله وجلاله في خياله، وخاطب المسجد على أنه صاحب الجلال، والبهاء في الإذن بالتمتع بجمال ما حوله من سناء، وبهاء، قال:

فعسى ضواحيه تريه جمالها مستنشقاً طيب الشذا بنداكا

وصف أثر المسجد الأقصى في روّاده شعراً

قال: (ولقد أنشد اللسان؛ إذ هاج الجنان من فيض الوقت الزائد القاذف بحره بفرائد القلائد الشرائد:

شربة من كأس أحـــبابي قد كفتني شرب أكـــوابي

وارتشاف من رضـــابهم منعش قـلباً بهم صـــابي

أيها النومان قم ســـحراً عندمـــا قد غاب حجابي

وألق أثواباً حجبت بهـا عن جمـــال حسنه رابي

ثم شمّر ذيل صـــدقك لا تخـــش من ردٍّ بأبـــواب

ولدى الندمان هِم طـرباً واندرج في درج أحســـاب

ثم زمـــــزم باسمنا وبنا طب وغب تدنو كما القاب

كل من قد جاء يشرب من كـــــأسنا يحظى بآراب

والذي يرجو مواصـــلة فـــليعانق جـــلّ آداب

دونه قطع الرقـــاب فقم أيهـــا الساري على الباب

وإذا ما الإذن جـــاءك من حضـــرة تعزى لـــوهاب

فهناك ادخل(12) بلا مهل تاركـــــاً أسباب إعجاب

وتجرد عنك وادن لـــــه خـــــاطباً قرباً كخطاب

هكذا إن رمت حضـــرتنا سِرْ ودع أحـــوال مرتاب

وصلاة والســـــلام على أحمد المختار ذي ألقاب

ثم آل والصحاب مدى الدهـ ـر ما المحبوب لي حابي)(13)

هذه الأبيات تفصح عن قلب امتلأ بحب الأقصى، وإذا رضاب حبّه بطل كل شيء، فشربة واحدة من كأسه كفته ما سواها، ولا كانت أقداح الحبّ، ولا كؤوسه. ويحث المحبين على مسارعة الخطا، والولوج في حان المحبّة، دون إذن، فلا وقت للاستئذان:

فهناك ادخل بلا مهلٍ تاركاً أسباب إعجاب

قصيدة يا صخرة اللّه إنّ القلب يهواك

ومن وحي الصخرة المشرفة غنّت قيثارة شعره روائع ما صدحت به نفسه المحبة للصخرة المشرفة، قال:

يا صخرة الله إنّ القلب يـــهواكِ ... ولم يزل مغرمـــــاً في حسن محياكِ

ولهانَ قد هان من عظم الغرام بك ... وسنان منهان مشغوفاً بحسنـــــاك

يـــا صخرة الله مالي عنك مصطبرٌ ... إنْ كان فرط الهوى أفنى لمـــضناك

يـــا درة ليس يدري قدر حرمتها ... إلا الغريب اللبيب الطيب الذاكي

ومن يعـــاينها صـــخراً فقسوته ... تبدو لدى كلّ درّاك ونســـــاكي

بل تلك جـــوهرة عمت ببهجتها ... غرباً وشرقاً وعرباً مثل أتـــــراك

في ظلمة الليل إنْ وافيت ساحتها ... فكم ترى عندها من نائح بـــاكي

وإن ترم وصفها من عـــارف فطن ... أعيت بوصف سناها بالثنا حـــاكي

يا صخرة الله بالعهد الـــقديم بما ... نلتيه من نور محيـــــاك ومجلاك

ألا رثيت لـــــصبّ صبّ أدمعه ... يرجوك أن تمنحيه طيب لقيـــاك

متى أرى مهجتي الحراء يقنعـــها ... وصل لك ومتى الملتاع يلقـــاك

أزورك كل يوم كي أنـــال شفـــا ... من لـــــوعتي فيزيد الوجد زوراك

لا كان قلب سلا عن حبك وقـــلى ... أو مال يوماً إلى من كـــــان يســـلاك

قد علم الوجد أجفاني السـهاد فلا ... يمر بالجفن غمض حـــين ذكـــراك

فالقلب منجرح والجسم منطـــرح ... والطرف منقرح والكـــــل يهواك

رعى الإله ليالٍ قد سقيت بهـــــا ... من صرف خمرتك صـــــافي حميّاك

فهل ترى الدهر لي بالعود يسعدني أو هل ترى في الكرى أحظى برؤياك

لو أنّ روحي بتصريفي لقلت لـك مجازياً بالـذي أكرمتني هـاك

يا صخرة أسفرت عن حلة بهـرت الـعين مـا نظرت مغنى كمغناك

ويا زمان مضى بالقرب كان أضـا ويا ليـال الرضى أواه ما أحـلاك

مني السلام على من في الغرام عـلا واسق كـأس طِلا من خمر معنـاك

قد ذاق طعم هـوى تقريبك فثوى وعـاف قرب سوى ثمار لك ذاكي

يا ربّ صلِّ كما ترضى بفيض سمـا على حبيب سمـا في فك إشـراك

والآل أهل وفا ما سار صـب صفا والصحب والظـرفا من كـل فتاك

والتابعين كذا من طـاب منه شذا مـا زال محض أذى عن شاكر شاكي

وما معنّى الهوى يومـاً أذيق نوى حبّ كـوى وشوى ملتاع أقصاك

أو مصطفى سبط طه المصطفى وكذا نجل الصـديق بكسر القلب وافاك

راج نداك ولاح في حمـاك بـك هـاج عداك ومن للجهل يشنـاك

بالعـهد فلتشفعي للعبد تكرمة عسى تفتح أبـوابي بمـولاك

مني السـلام عليك ما شهدت بك أشبـاح أرواح من هـاموا بمرآك

وما ليال الهنـا ناديتك ولـها يا صخرة الله إنّ القلب يهـواك(14)

رنّم الصديقي لواعج حبّه المستكن في قلبه للصخرة المشرفة، فهو بدأ بالتوكيد أنّ القلب يهواها، ولهان وسنان، في هواها، فهي ليست صخراً، وحجارة؛ بل هي روح تناغم محبّها لمن أدرك معانيها الروحية، والجمالية:

ومن يعاينها صخراً فقسوته تبدو لدى كلّ درّاك ونساكي

فهي الدرّة الثمينة، والجوهرة النفيسة، والمعشوقة المدللة عند الناس جميعاً، عرباً وعجماً، يتبتل العبّاد في ساحتها، ويبتهل المبتهلون في باحتها:

في ظلمة الليل إنْ وافيت ساحتها فكم ترى عندها من نائح باكي

سكب الصديقي دموعه، وسفحها على خدّيها؛ عسى أن ينال رضا محبوبته المتربعة على عرش النور، والبركة في القدس:

ألا رثيت لصبّ صبّ أدمعه يرجوك أن تمنحيه طيب لقياك

فهو العاشق المولّه، والحبيب الملتاع، أذابه الوجد، والاشتياق، فهو في شوق لها، وهي في جنبه، وعلى ذات يمينه، يأنس بها، وشوقه يتعاظم كلما بلّ ريقه من رضابها، واكتحلت عينه بجمالها الأخّاذ:

أزورك كل يوم كي أنال شـــــفا من لوعتي فيزيد الوجد زوراك

لا كان قلب سلا عن حبك وقلى أو مال يوماً إلى من كان يسلاك

خطف بريق جمالها بصره، وسلب النوم من أهداب عينيه، وغدا القلب طريح الغرام:

قد علم الوجد أجفاني السهاد فلا يمر بالجفن غمض حين ذكراك

ألقت الصخرة بجمالها وجلالها في قلب الصديقي المحبّ المغرم، وحينما لاحت ساعة الفراق، وما فيها من ألم لعاشقها المتيّم، وجد نفسه يقدم روحه هدية طيبة لذات الجمال والجلال، والبهاء، والسناء:

قد علم الوجد أجفاني السهاد فلا يمر بالجفن غمض حين ذكراك

وصف جمال الربيع في القدس، وقصيدة دمع العيون على الخدود يسيح.

قال: ولما فَضّ ختمُ تلك الليلة الأنسية يدَ فجرها؛ توجهنا نحو الربوع القدسية؛ لنشارك

أهلها في كامل أجرها، وكنا نشتم عبيرَ الشِّيح، وزهرَ الأراضي بسعد مبيح؛ فأنشد لسانُ الحال في وصف هاتيك الأطلال:

دمعُ العيون عـلى الخدود يسيح ... مذ بـــاح بالسرّ المسر الشيحُ
وغدا الفؤاد بأنّ أنّةَ عـــاشقٍ ... لا يستطيع بـــما يُكنُّ يبيح
يا سادةً إسنـــاد حبي طنبه(15) ... قد أوصلوه فمـــا به تجريح
وحـــديثه فمعنعن والدمع ذا ... ك مسلســل والجسم فيه طريح
وغـــرامه المشهور حـــاز تواتراً ... متنٌ له إذ عـــلّ وهو صحيح
ومحبُكم فعـــليلُ قلبٍ مُتلـــَفٍ ... مرفـــوع حجب عزَّ وهو سفيح
يكني بذكر العـــامرية عنكم ... حينـــاً ومن شأن الهوى التصريح
ويروم سِترَ الحال عن لـــوّامه ... ولســـان حال العاشقين فصيح
فاخف الهوى ودع السوى يا ذا الجوى ... كتم الغـــرام عن اللئام رجيح
وإذا منحت القرب فاعرف قدره ... إنّ الســـخي بمن يحب شحيح
ما كل وقت ينجلي غيم الجـــفا ... ما كـــل آن بالدنو يريح
فاغنم أويقات المقيل بجـــانه ... فعسى الجميل الستر عنك يزيح
وترى الذي تهوى بسرك دائـماً ... فيؤمك التفـــريح لا التقريح
ثم الصلاة مع السلام على الذي ... قلبي بروض الحـــب فيه طريح
والآل والأصحاب من ذكراهـمُ ... روح ووجه بالجـــمال صبيح
والتابعين لهم وأشياخ لنـــا ... كلٌّ بأكـــناف الغوير نفيح
ما مصطفى سبط الحبيب محمد ... في أرض قدس للـــرضاء يسيح
وبه غفا طرف له لما عفـــا ... رسْمٌ وجفن العين منه جـــريح
أو ما شدا لما بدا صبح الهـــوى ... دمع العيون على الخدود يسيح(16)

هذه القصيدة التي غرّدتها قيثارة الصديقي، استأثرت بالقدس البهيّة الغنّاء، ذات الربيع الأخضر السندسيّ الأزهر، رآها محبها بأبهى لباس، تهزّ معاطفها على أنغام الربيع، هي القدس التي ما خلعت ثياب حسنها ساعة، وتبرّجت لعشاقها كل ساعة، فكيف حينما يأتلف الربيعان، ويلتقي الأزهران الأخضران، الربيع الذاتي المغروس في شبابها الدائم، وربيع الموسم الذي زاد زينتها، فهمَت دموع المحبّ شوقاً، وفرحاً، وأنّة المعشوق رجع صداها صدح في روابي القدس؛ فكانت كلمة السّرّ بتورد نبتة الشيح عنوان الربيع العاطر المعطّر:

دمعُ العيون على الخدود يسيح مذ باح بالسرّ المسر الشيحُ

وغدا الفؤاد بأنّ أنّةَ عـــاشقٍ لا يستطيع بمـــا يُكنُّ يبيح

لقد أبدع الصديقي في الكشف عن حبّه العميق للمسجد الأقصى المبارك، وقبة الصخرة، وللقدس التي غدت بعد ذلك موطناً له، استقر فيها، وتزوج حورية من بناتها، وصارت محبة وعبادة ونسباً.

الهوامش

1. منها نسخة بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة، ونسخة في المكتبة الظاهرية بدمشق، ومصورة بمؤسسة إحياء التراث بالقدس، وقد رجّحت اسمها (الخمرة المحسية في الرحلة القدسية)، وقد ذكرت ذلك في تحقيقي لها الذي سينشر بإذن الله.
2. الصديقي، مصطفى البكري: الخمرة المحسية في الرحلة القدسية، مخطوط، مكتبة عارف حكمت في المدينة المنورة، رقم الحفظ 3840، ورقة.
3. الأطلس نوع من الثياب، عليه أطلاس يعني ثياباً وسخة، وتطلق الأطلس على الذئب الأغبر، انظر: الجزري، المبارك محمد: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي. بيروت: المكتبة العلمية، 1399هـ - 1979م. ج3، ص132، ويحكى عن الثوب الأسود أطلس، ابن منظور: لسان العرب. ج6، ص125، ويطلق الأطلس على الثياب المزركشة الفاخرة، انظر: النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج30، ص63، ولعل مراد الصديقي لباس التواضع، وقد عُرف عنه أنه

كان يلبس الألبسة الفاخرة.

4. أكؤس: جمع كأس، ابن منظور: لسان العرب، ج6، ص189.
5. الصديقي: الخمرة المحسية في الرحلة القدسية، مخطوط ورقة 5.
6. هو: الأمير حسام الدين الحسين بن شرف الدين عيسى الجراحي أحد أمراء الملك صلاح الدين (ت598هـ)، ودفن بزاويته، الحنبلي: الأنس الجليل، ج2، ص 48.
7. كلمة غير مقروءة.
8. الصديقي: الخمرة المحسية، ورقة 8.
9. جبل المكبر: ويعرف باسم جبل الثوري، يقع جنوبي القدس، ويفصل بينه وبين جبل الطور وادي سلوان. وذُكر أنّ عمر بن الخطاب ﷺ دخل منه لبيت المقدس يوم فتحها، وكبّر فوقه. وعليه أقيم قصر خاص للمندوب السامي في فترة الاحتلال الإنجليزي للقدس، وأقيمت الكلية العربية على أقصى نقطة في الجبل، تعلو قمته (795م) عن سطح البحر، وعلى جانب الجبل قبر المجاهد أبي ثور أحد قادة صلاح الدين الأيوبي في فتح القدس. العارف: المفصل في تاريخ القدس، ص441، الدباغ: بلادنا فلسطين، ج2،ص25.
10. تقع بباب الحديد غربي المسجد الأقصى، وإلى الشمال من باب القطانين، أوقفت المدرسة الخاتونية أوغل خاتون بنت شمس الدين محمد سيف الدين القازانية البغدادية عام 755هـ وأكملت عمارتها أصفهان شاه بنت الأمير قازان عام 782هـ تعرف اليوم باسم دار الخطيب، الحنبلي: الأنس الجليل، ج2، ص36، العارف: المفصل في تاريخ القدس، ص250، دفن فيها عام 1930م الزعيم الهندي مولانا محمد علي، الدباغ: بلادنا فلسطين، ج3، ص275. العسلي، د كامل جميل: أجدادنا في ثرى بيت المقدس، عمان: مؤسسة آل البيت، ص43.
11. الصديقي: الخمرة المحسية، مخطوط ورقة 14.
12. ب: افعل.
13. الصديقي: الخمرة المحسية، مخطوط ورقة 15.
14. الصديقي: الخمرة المحسية، مخطوط ورقة 16.
15. حبل طويل يشد به سرادق البيت، الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ص140.
16. الصديقي: الخمرة المحسية، مخطوط ورقة 25.

صخرة المعراج

الشاعر : عبد الله فنون

وقفت بصخرة المعراج يوماً ... لأبصر قبلة أولى أمامي

وعيني صوب مكة في اتجاه ... ترى في قلبها البيت الحرام

وتبصر أحمداً يسعى حثيثاً ... على متن البراق كما السهام

له نور يسير بكل صوب ... بديع لا يصور بالكلام

يرافقه ملاك الوحي صبحاً ... ويرعى سيره تحت الغمام

يؤانسه ويرشده بلطف ... إلى عرشٍ به رب الأنام

وقدس الله زاخرة بجند ... ملائكة تصلي للسلام

فلما حط ركبهما بقرب ... من الأقصى بساعات الظلام

عـلا في الجـو تسبيح عظيم وتـرتـيـل تـــردد بـانـتـظـام

فـســارا في ثـبـات وابـتـهـاج إلى المحـــراب في قـدس المـرام

وجـــاء الأنـبـيـاء لـذكـر رب كـريـم حيث أحمـد في الأمـام

فصلوا في خشوع فيه شكر لمـن خـلـق الـبرايـا في وئـام

فكان العرس منشوداً عظيماً ومـشـهـوداً بفخر واحـــترام

وقـــد عـــرج الـنـبي إلى سمـاء بها الـرحمـن في أسمـى مقام

فعلّم أحمـــداً خمـسـاً فـروضـاً وأركـــانـــاً لـديـن الاخـتـتـام

ففاض الدمع من عيني جريحاً لأنـــي لم أذق طعم السلام

وأرض القدس في حرب ضروس بها الـويـلات ماثلة أمامي

من أخبار مكتب المفتي العام ونشاطاته ومراكز دار الإفتاء الفلسطينية

إعداد: الأستاذ مصطفى أعرج / نائب المدير العام للعلاقات العامة والإعلام

قام سماحة الشيخ محمد حسين ـ المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية – بالعديد من النشاطات والمشاركات على أكثر من صعيد ومجال، منها:

المشاركة في الاجتماع الرابع لمجلس أمناء مؤسسة ياسر عرفات

القاهرة: شارك سماحة الشيخ محمد حسين –المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، خطيب المسجد الأقصى المبارك – في الاجتماع الرابع لمجلس أمناء مؤسسة ياسر عرفات، الذي عقد في مقر جامعة الدول العربية، حيث تم بحث موضوعات عدة حسب جدول الأعمال المقرر، وأشاد سماحته بهذا المجلس الذي يعبر عن نوع من الوفاء للزعيم القائد الشهيد الراحل ياسر عرفات، رحمه الله.

من جهة أخرى؛ حضر سماحته في القاهرة حفل الإعلان عن توقيع وثيقة المصالحة بين الفصائل الفلسطينية، وأشاد سماحته بهذا القرار الحكيم الذي طالما انتظره شعبنا، ويقوي موقف الشعب الفلسطيني في مواجهة المخاطر المحدقة به.

تقديم بحث إلى مؤتمر زكاة دخول الموظفين في جامعة النجاح

نابلس: شارك سماحة الشيخ محمد حسين –المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، رئيس مجلس الإفتاء الأعلى– في أعمال مؤتمر (زكاة دخول الموظفين والمهن الحرة)، الذي عقدته كلية الشريعة في جامعة النجاح الوطنية، وشارك فيه العديد من العلماء، وقدم سماحته إلى المؤتمر بحثاً بعنوان (زكاة مخصصات التقاعد والتوفير ومكافآت نهاية

الخدمة)، تناول فيه موضوعاً مهماً، وقضيةً فقهيةً معاصرةً، وقال سماحته: (إن الزكاة لا تجب على مخصصات التقاعد عند استلامها، وتجب عليها بشرط بلوغ النصاب بنفسها، أو بإضافتها إلى مال آخر من جنسها عند الموظف، إضافة إلى اشتراط مرور حول قمري على النصاب من تاريخ بلوغه، وبعد حيازته في ملك الموظف)، وأشاد سماحته بجامعة

النجاح الوطنية والقائمين على هذا المؤتمر، مبيناً أهمية معالجة هذا الموضوع ودراسته، وفي أعقاب حضور المؤتمر، زار سماحته مقر دار الإفتاء/ نابلس، والتقى فضيلة الشيخ أحمد شوباش-مفتي المحافظة- والعاملين في الدار، بحضور كل من الشيخ محمد سعيد صلاح، مدير عام التخطيط والبحوث، وفضيلة الدكتور الشيخ مروان قدومي، عضو مجلس الإفتاء الأعلى، والشيخ عزام العكر، والدكتور عبد الرحيم الحنبلي، والحاج إبراهيم مصلح.

كما زار سماحته والوفد المرافق مقر بلدية نابلس، والتقى رئيسها عدلي يعيش.

المشاركة في افتتاح مقر تجمع أسر الشهداء في القدس

القدس: شارك سماحة الشيخ محمد حسين -المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، ÷خطيب المسجد الأقصى المبارك- في حفل افتتاح مقر التجمع الوطني لأسر الشهداء -فرع محافظة القدس- الذي تم افتتاحه في الرام، بحضور عدد من المسؤولين الرسميين

والشعبيين، وثمن سماحته الاهتمام بأسر الشهداء، مبيناً أن الله عز وجل كرّم الشهداء،

واصطفاهم عنده، ورفعهم لأعلى المراتب، وأن افتتاح هذا المقر يعبر عن الأهمية الدينية والمعنوية التي يوليها شعبنا للشهداء وأسرهم، وبخاصة في ظل الهجمة الشرسة التي تتعرض لها المدينة المقدسة.

تقديم واجب العزاء إلى السفارة اليابانية بضحايا الزلزال

القدس: قام سماحة الشيخ محمد حسين -المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية،

خطيب المسجد الأقصى المبارك- على رأس وفد من دار الإفتاء الفلسطينة بزيارة السفير الياباني لدى السلطة الوطنية الفلسطينية السيد (ناوسومي هاشي موتو). معزياً بضحايا الزلزال المدمر الذي تعرضت له اليابان، وأكد سماحته على تضامن الشعب الفلسطيني وتعاطفه مع الشعب الياباني، صاحب المواقف النبيلة والمشرفة تجاه الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة، وتمنى السلامة لهذا الشعب الصديق، وأن يتجاوز هذه المحنة.

من جانبه شكر السيد (هاشي موتو) سماحته على هذه اللفتة الكريمة، التي تدل على عمق الروابط بين الشعبين، ورافق سماحته فضيلة الشيخ إبراهيم عوض الله، الوكيل المساعد لدار الإفتاء الفلسطينية، ومحمد جاد الله، مدير عام مكتب المفتي العام، ومصطفى أعرج، نائب المدير العام لمديرية العلاقات العامة والإعلام، وبلال الغول، مدير الدائرة المالية، ويوسف تيسير، مدير دائرة المعلومات والحاسوب.

ترأس اجتماع أسرة تحرير مجلة الإسراء

القدس: ترأس سماحة الشيخ محمد حسين -المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، المشرف العام لمجلة الإسراء المقدسية -اجتماعاً لأسرة تحرير المجلة، تناول أموراً تتعلق بإصدار المجلة ومضمونها وشكلها وتوزيعها، وحضر الاجتماع فضيلة الشيخ إبراهيم عوض الله -الوكيل المساعد لدار الإفتاء الفلسطينية- رئيس التحرير، وهيئة التحرير

ممثلة بكل من الدكتور إسماعيل نواهضة، والدكتور شفيق عياش، والدكتور حمزة ذيب، والدكتور سعيد القيق، وعطا الله فلاحين، سكرتير التحرير، ويوسف تيسير، مصمم المجلة، ومصطفى أعرج، نائب المدير العام للعلاقات العامة والإعلام، وهالة عقل، رئيس قسم المطبوعات.

ترأس الجلسة (87) لمجلس الإفتاء الأعلى

القدس: ترأس سماحة الشيخ محمد حسين -المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، رئيس مجلس الإفتاء الأعلى- جلسة المجلس السابعة والثمانين، وحضرها أصحاب

الفضيلة المفتون وأعضاء المجلس من محافظات الوطن، وناقش المجلس قضايا فقهية عدة، منها: تعديل قيمة الدية الشرعية، وأصدر المجلس بياناً دعا فيه إلى دعم قضية الأسرى الفلسطينيين، معتبراً أن هذه القضية من القضايا الملحة والمهمة للشعب الفلسطيني، وأكد سماحته على أن القيادة الفلسطينية تضع على سلم أولوياتها قضية تحرير الأسرى الفلسطينيين من سجون الاحتلال، ودعا سماحته إلى ضرورة الوقوف إلى جانب أسر الشهداء ودعمهم بالطرق والوسائل المتاحة على جميع الأصعدة.

مفتي محافظة رام الله والبيرة يستقبل وفداً ألمانياً ويشارك في ندوة حول المصالحة

القدس: ممثلاً عن سماحة الشيخ محمد أحمد حسين - المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية-استقبل فضيلة الشيخ إبراهيم عوض الله -الوكيل المساعد لدار الإفتاء الفلسطينية، مفتي محافظة رام الله والبيرة- وفداً من أساتذة الجامعات الألمانية ومهنييها، وجمعية الصداقة الفلسطينية الألمانية، وتطرق اللقاء إلى عدالة الإسلام وسماحته، وأنه دين إخاء ومحبة، وليس دين تطرف وتعصب، وبين فضيلته للوفد الضيف ما يعانيه المواطن الفلسطيني من ظلم وقهر، وأن سلطات الاحتلال لا تميز بين مسلم ومسيحي، فهما يتعرضان للإجراءات القمعية معاً، مشيراً إلى الانتهاكات التي تتعرض لها الأرض الفلسطينية ومقدساتها، وقدم فضيلته شرحاً عن دار الإفتاء الفلسطينية وأعمالها.

وثمن دور أوروبا في دعم الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة، مؤكداً على عمق الروابط بين الشعب الفلسطيني وألمانيا، ثم أجاب فضيلته عن أسئلة الحضور واستفساراتهم المختلفة، وبدوره شكر الوفد فضيلته على حسن الاستقبال، وتمنوا أن يحل السلام العادل في المنطقة بأكملها.

وعلى صعيد آخر؛ شارك فضيلته في ندوة عقدتها رابطة الأكاديميين في بيت لحم، حول موضوع المصالحة الفلسطينية، وقال فضيلته: إن المصالحة جديرة ببذل الجهود المخلصة في سبيل انجاحها أمام شراسة الاحتلال، وحضر فضيلته جلسات المؤتمر السنوي السابع الذي أقامه الائتلاف من أجل النزاهة والمساءلة (أمان) في رام الله عن تقرير الفساد للعام 2010م.

مفتي نابلس يلقي محاضرة لقوات الأمن الوطني ويقوم بنشاطات أخرى

نابلس: ألقى فضيلة الشيخ أحمد شوباش-مفتي محافظة نابلس- محاضرة دينية لقوات الأمن الوطني في المحافظة، حث فيها فضيلته على ضرورة التمسك بالأخلاق الحميدة والقيم الرفيعة، التي يقوم عليها ديننا الحنيف؛ كالصبر، والتسامح، والصدق... إلخ، وكان فضيلته قد شارك في المؤتمر الاقتصادي الذي عقدته وزارة الاقتصاد وجمعية حماية المستهلك والمجلس الأعلى لحماية المستهلك في حرم جامعة النجاح الوطنية، وقدم بحثاً بعنوان (تدابير حماية المستهلك في الفقه الإسلامي وقرارات مجلس الإفتاء الأعلى)، وشارك كذلك في لقاءات إعلامية على الهواء مباشرة، أجاب خلالها عن العديد من استفسارات المواطنين التي تهم حياتهم الدينية والدنيوية.

مفتي محافظة بيت لحم يشارك في حملة (لنا جذور) ونشاطات أخرى

بيت لحم: شارك فضيلة الشيخ عبد المجيد العمارنة – مفتي محافظة بيت لحم- في حملة (لنا جذور)، التي أقيمت في المحافظة، كما شارك في حفل تكريم الطلبة الفائزين في مسابقة حفظ القرآن الكريم وتلاوته،

التي عقدت في قاعة بلدية الدوحة، وأقامتها مديرية التربية والتعليم بالتعاون مع البنك الإسلامي في محافظة بيت لحم.

كما شارك في حفل إطلاق مشروع (حق المرأة في الميراث)، وتخريج المتدربات والمتدربين الذين شاركوا في الدورة الخاصة بهذا المشروع، والتي عقدت في قاعة الهلال الأحمر بالبيرة، بالإضافة إلى المشاركة في ورشة عمل دعت إليها مديرية زراعة بيت لحم حول إنجازات مديرية زراعة وبيطرة المحافظة، وألقى فضيلته محاضرتين؛ عرّف من خلال الأولى مجموعة من الطلاب الأجانب بالإسلام، بدعوة من مؤسسة السياحة البديلة في المحافظة، والأخرى حول الصحة لمرضى السكري في مؤسسة إبداع.

مفتي محافظة سلفيت يشارك في مهرجان الوفاء للأرض والأسرى

سلفيت: شارك فضيلة الشيخ جميل جمعة –مفتي محافظة سلفيت– في مهرجان الوفاء للأرض والأسرى، الذي دعت إليه اللجنة الوطنية لإحياء يوم الأسير في المحافظة، كما شارك في مراسم عقد صلح عشائري، حضره عدد كبير من الشخصيات الرسمية والشعبية، بالإضافة إلى مشاركته في افتتاح معرض الكتاب، وافتتاح مكتبة الشرطة في مديرية شرطة المحافظة.

مفتي محافظة طوباس يشارك في افتتاح فعاليات برنامج تعبوي وفي نشاطات أخرى

طوباس: شارك فضيلة الشيخ حسين عمر–مفتي محافظة طوباس– في حفل افتتاح البرنامج التعبوي (نعم؛ نحن نستطيع)، والذي حضره العديد من الأشبال والزهرات في المحافظة، كما ألقى محاضرة بدعوة من التوجيه السياسي الوطني، بيّن فيها أن الرسول الكريم محمد، صلى الله عليه وسلم، أُرسل للعالمين، وأنه، صلى الله عليه وسلم، أرسى قواعد الكرامة والحرية للإنسان، وحضر المحاضرة العديد من ضباط الأمن الوطني والشرطة وأفرادهما، كما شارك في مهرجان تأبين شهداء حواجز الموت، والاحتفال المركزي بذكرى يوم الأرض.

مفتي محافظة جنين يشارك في ندوة حول (الطلاق قبل الزواج) ويلقي محاضرات أخرى

جنين: شارك فضيلة الشيخ محمد أبو الرب -مفتي محافظة جنين- في الندوة التي نظمتها جامعة القدس المفتوحة في محافظة جنين بعنوان (الطلاق قبل الزواج)، كما شارك في الندوة التي نظمتها دائرة العلاقات الدولية والعامة في الجامعة العربية الأمريكية في جنين حول التعاملات المالية في البنوك الإسلامية، مبيناً أن الإسلام دين شامل جاء بأنظمة مترابطة كالنظام الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، التي تثبت الأيام مدى الحاجة إليه لقيادة شؤون البشرية، مؤكداً على أن الأصل في عمل البنوك الإسلامية استبعاد الزيادات الربوية، وهذا ما يميزها عن عمل البنوك الأخرى، كما ألقى محاضرة دينية في مقر الشرطة الخاصة، تحدث فيها عن الواجب والالتزام والانضباط وأخلاقيات رجال الأمن، ودورهم في المحافظة على الوطن والمواطن.

وألقى فضيلته محاضرة بعنوان(أخلاقيات مهنة التعليم)، وذلك في مقر مدرسة بنات عرابة الأساسية، تحدث فيها عن أهمية العلم والتعليم.

مسابقة العدد 97

السؤال الأول: مـــن ..... ؟

أ. القائد الذي لم يُر ضاحكاً حين كانت القدس في الأسر ؟

ب. صاحب سلسلة (نقد العقل العربي) ؟

ج. النبي الكريم الذي لقيه النبي صلى الله عليه وسلم، في السماء الثالثة خلال معراجه ؟

د. القائل :

1. قد علم الوجد أجفاني السهاد فلا يمر بالجفن غمض حين ذكراك ؟
2. القائل: وأرض القدس في حـرب ضروس بها الـــويلات ماثلة أمامي ؟

السؤال الثاني: مـتى .... ؟

أ. دخل الخليفة عمر بن الخطاب مدينة القدس ؟

ب. أعلنت إسرائيل عن ضم القدس المحتلة رسمياً إلى كيانها السياسي ؟

ج. اندلعت انتفاضة الأقصى ؟

السؤال الثالث: مـــا ... ؟

أ. سبب نزول قوله تعالى: {وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا} ؟

ب. أركان عقد السلم ؟

ج. جواب الأعرابي للحجاج حين سأله عن أكله ونومه ؟

د. الاسم الذي يخص المتبني ويصح أن يعطيه للمتبنى عن طريق الموالاة ؟

السؤال الرابع: أيـــن ... ؟

أ. هاجر النبي صلى الله عليه وسلم، من مكة قبيل رحلة الإسراء والمعراج ؟

ب. عقد مؤتمر (زكاة دخول الموظفين والمهن الحرة) ؟

ج. أقيمت دورة مشروع (حق المرأة في الميراث) ؟

تنبيه: يمكن استخراج إجابة أسئلة المسابقة من محتويات هذا العدد

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى: 300 شيكل

الجائزة الثانية: 250 شيكل

الجائزة الثالثة: 200 شيكل

ملحوظتان :

- يرجى كتابة الاسم الثلاثي حسب ما ورد في البطاقة الشخصية (الهوية)، والعنوان البريدي، ورقم الهاتف وكتابة الإجابات بخط واضح .
- ترسل الإجابات على العنوان الآتي :

مسابقة الإسراء، العدد 97
مجلة الإسراء / مديرية العلاقات العامة والإعلام
دار الإفتاء الفلسطينية
ص.ب : 20517 القدس الشريف
ص.ب : 1862 رام الله

إجابة مسابقة العدد 95

السؤال الأول:

1. لم يصح الذبح عن واحد منهم.
2. قال رسول الله ﷺ: (أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي؛ كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَلَمْ تُحَلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَيِّبَةً طَهُورًا وَمَسْجِدًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ أَدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ صَلَّى حَيْثُ كَانَ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ بَيْنَ يَدَيْ مَسِيرَةِ شَهْرٍ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ).
3. بيت لحم
4. 8/ 3
5. تيري جونز
6. حبيبة بنت رزق
7. الوسائد الصغيرة (جمع نمرقة)
8. السيد ياسر عثمان

السؤال الثاني:

1. خباب بن الأرت
2. بلال بن رباح
3. خديجة بنت خويلد

أ. سفيان الثوري

ب. الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه

ج. ابن دقيق العيد

السؤال الثالث:

1. عام 2000م
2. 15 رمضان 1414هـ الموافق 25 / 2 / 1994م .

الفائزون في مسابقة العدد 95

المرتبة	الاسم	العنوان	قيمة الجائزة بالشيكل
الأولى	محمد شوكت حمادة (دار وهدان)	رام الله	300
الثانية	تحرير عبد الله سليم دراغمة	طوباس	250
الثالثة	جهاد مسعود مرعي مسعود	طولكرم	200

ضوابط ينبغي مراعاتها عند الكتابة لمجلة الإسراء

حرصاً على التواصل بين مجلة «الإسراء» وقرائها الكرام، فإننا نتوجه إلى أصحاب الأقلام من الأدباء والمفكرين وأصحاب الفضيلة العلماء أن يثروا مجلتهم بالكتابة، للاستفادة من عطائهم الكريم، آملين أن تصل مشاركاتهم من خلال المقالات والأبحاث والقصائد الشعرية الهادفة، إضافة إلى ملاحظاتهم السديدة، علماً أن موضوعات المجلة متنوعة، تشمل المجالات الدينية والإنسانية والثقافية والعلمية وغيرها، ويخصص لكل موضوع ينشر مكافأة مالية جيدة.

ونلفت الانتباه إلى ضرورة مراعاة قواعد الكتابة وضوابطها، ومنها :

1. طباعة المادة المراد نشرها على الحاسوب، وترسل عن طريق البريد الإلكتروني، أو باليد.
2. ألا يزيد المقال عن 4 صفحات حجم A4، والبحث عن 8 - 10 صفحات.
3. كتابة نصوص الآيات من المصحف الرقمي مع تشكيلها، وتوثيق أرقامها.
4. تخريج الأحاديث من مظانها المعتبرة، وأن تكون مشكلة، وصحيحة.
5. التوثيق عند الاقتباس سواء من الإنترنت أو الكتب والمراجع والمصادر الأخرى.
6. عمل هوامش ختامية، تشمل المعاني والتوثيق ... إلخ.

نستقبل المراسلات على العنوان الآتي :

القدس : مجلة الإسراء / فاكس : 6262495 ص.ب: 20517

الرام : تلفاكس : 2348603 ص.ب 1862

E.mail : info@darifta.org - israa@darifta.org